AMERICAN UNIVERSITY
LIBRARY
OF BEIRUT

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARY
892.73
I21aKA
c.2

سهيل ادريس

أشواق

قصص

الرسوم الفنية بريشة رضوان الشهال

تلوين ت.ت.م.
67538

دار العلم للملايين
بيروت سنة ١٩٤٧

Cat. Jan. 1948

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARY

إلى التي علمني حبّ القصة
إلى ذات القلب الأزرق
أُهدي هذه الباكورة

سهيل

اشواق

تلك(*) كانت أحب ساعة لديها ، وآثرها الى نفسها . فان تلك الانغام تتصاعد من الاوتار، رقيقة مرهفة ، تسمو بها الى جوّ تخضلّ به امنيات روحها الفتية ، وآمال نفسها النابضة ، المتفتحة رويداً رويداً للحياة .

كان يلذّ لها أن تجلس الى الراديو في الصباح الباكر ، تستمع الى نغمات الموسيقى الناعمة ، تنخفض تارة، منسابة على مهل،فتغرق أحاسيسها في نشوة الهدوء والسكون والاطمئنان ، والاخلاد الى تلك الغمرة الهانئة من صبوات الفؤاد الحالم ، وتعلو تارة مرتفعة ، يتسع مداها على درجات ، فتوقظ في نفسها شعور الطموح والحركة والانطلاق ، ورغبة البلوغ العاجل إلى ما تنزع اليه من لذة الحب ودنيا الاماني ..

لقد كانت « سميّة » إذ تستمع الى هذه الموسيقى في الصباح الباكر ، تشعر بانها تم شيئاً حبيباً الى نفسها : تستأنف حلماً لذّ راودها في الليلة الفائتة ، ثم إذا به ينقطع فجأة ، فتقاسي منه مرارة الحرمان .. أما الآن ،وهي في نشوة الالحان الموسيقية ، فان ذلك الحلم ليكتمل فصولا ويتم !..

(*) ترجمها الى اللغة البرازيلية الاستاذ ابراهيم حبيب طنوس ونشرتها مجلة « Graça e Bella » في عددها الخاص بمدينة « أراشا » .

وكانت سميّة تنتهز كل أوقات فراغها من الدرس والتحصيل ، لتدير مفتاح الراديو على احدى المحطات ، فتصيخ الى تلك الموسيقى الصامتة التي هي أكثر تعبيراً عن خوالج النفس ورغائب الروح من موسيقى الاغاني . وكانت أكثر إعجاباً وأشدّ ميلا الى الموسيقى المفردة الوترية ، كأنغام « الغيتار » و « الفيولنسيل » و « البيانو ». بيد أنها كانت أعنف حنيناً الى نغمات الاكورديون والكمان. وكان قد سبق لها أن رغبت إلى والدتهـــا أن تتعلم العزف على إحـدى هذه الآلات ، فتهاونت والدتها في تلبية رغبتها ، حتى ذلك المساء، إذ سمعت عزفاً منفرداً على الكمان ، ملك عليها لبها ، وأخذ بمجامع شعورها ، فآلت على امها أن تستدعي معلماً يعلمها العزف على هذه الآلة ، وألحت في ذلك إلحاحاً شديداً. والحق أن والدة سمية كانت، الى ذلك الحين ، تخشى اذا هي استدعت معلماً للموسيقى ، ان تنشأ بينه وبين ابنتها علائق من حب أو وشائج من مودّة ، وإنها لتعلم مبلغ حرارة الشعور وتيقظ الحس لدى سمية ، فضلا عن أنهـــا لم تحس بعدُ الحب ، وانها متهيئة النفس له ، دانية الفؤاد من معالمه..

*

وذات أصيل ، شقت والدة سميّة الباب على ابنتها تقول بحبوبة:

– أتدرين من بانتظارك يا سمية ؟

فاحمرّ وجه الفتاة .. لقد كان أول سؤال يُطرح عليها، فيوقظ فيها ذلك الشعور المتطلع إلى معرفة شاب .. شاب جميل كالنهـار ما فتيء يُراود أحلامها ، ويعبث بأمانيها .. وتابعت الوالدة كلامها :

– إنه معلم الكمان يا سميّة .. هو بانتظارك في قاعة الاستقبال.

وسرعان ما خالجها شعور تهيب وخشية ، وارتج عليها ، فلم تدر ما ينبغي لها أن تفعل . وحين رأت والدتها تخرج ، أحسّت أنها تنساق الى خزانتها ، ثم تنهمك بارتداء ثوبها الحريري الاخضر ، وتصفيف شعرها وتزيين معصميها ، وحين نظرت في المرآة ،طالعتها لاول مرة صورة فتاة على غاية من الجمال والفتنة والجاذبية .. بيد انها رأت على تقاسيم وجهها ملامح الاضطراب والخوف ، وتلك الحيرة التي تتعاور المرء يقبل على عمل لا يعرف أناجح هو فيه أم مخفق ! ..

وخرجت سمية تكاد تتعثر بأذيالها . وكانت على يقين بأن والدتها تنتظر قدومها ، فتدخلان معاً على معلم الموسيقى .. ولكنها لم تجدها . ومشت مضطربة الى غرفة الاستقبال حاسبة انها قد سبقتها اليها .. وإذ فتحت الباب ، نظرت فلم تجد غير شخص واحد . ولم تشأ أن تتراجع ، فتقدمت خطوات ،منتظرة ان يقوم لها المعلم .. ولكن هذا المعلم المنتحي في زاوية الغرفة امام النافذة ، لم يُبد حراكاً .. فتوقفت سمية لحظة تتأمله عن بعيد ، واضعاً نظارتين ، مختضنا كمانه ، حانياً الى الامام صدره .. ولكن لِمَ لا ينهض ؟

وتقدمت خطوات اخرى ، معتقدة أنه لم يشعر بعد بوجودها ، ثم بادرته بلهجة عذبة :

– بونسوار يا استاذ !

فانتفض معلم الموسيقى انتفاضة راعشة ، ونهض مضطرباً يجيب بخفوت هامس :

– بونسوار ايتها الانسة !

ورأته يمد يده في الهواء ، راغباً في مصافحتها ، فاقتربت حتى دانته ، ومدّت كفها تصافحه . ثم حدقت لحظات في وجهه ، فظلت نظراتها محددة في عينيه .. وأحست أنها ترتعش وتهتز ، وأنها لن تطيق بعد الوقوف ، فتراجعت حتى استندت إلى كرسي قريب.

انها لم تكن تنتظر أن ترى شاباً ، أطفئت عيناه ، فهو لا يبصر النور .. إنها لم تكن تتوقع أن يكون معلمها ضريراً ! .. واذن فان هاتين النظارتين ، انما وضعتا لتستترا عماه .. ولهذا لم تر والدتها حاجة في أن تصحبها ، لتقدمها اليه : هو الاعمى !

... وأخذت سميّة تشعر أن خوفها واضطرابها يحولان شيئاً فشيئاً الى عاطفة أخرى : الى أسىً وشجو ، بل إلى ألم يشتد ويتفاقم حتى ليعصف بنفسها عصفاً .. وأحست أن بودها أن تجد تعبيراً لهذا الألم يطغى ، وأنها ترغب في أن تثور وتغضب ، فتمزق ثوبها الاخضر ، أو تدمي شفتيها ، أو تجرح وجنتيها .. لا .. لا .. بل ان تبكي فقط .. ان تحدّر الدمع ، ان تتأسى وتتعزى بالبكاء من هذه الحيرة التي يمنى بها شعورها لاول مرة ، منذ أن بدأت تشعر ، وتتحسس ، وتفهم ، وتحيا .

والتفتت سميّة الى معلم الموسيقى ، فاذا هو يشدّ أوتار كمانه ، وعاد بصرها ، على رعشة ، يحدق في عينيه : جفنين مطبقين لا تكاد تبين منهما الا شعرات قليلة سوداء لا تخفق تحتها شيء .. انه لا يرى شيئاً .. بل هو يرى كل شيء ظلاماً دامساً أبدياً .. انه محروم من تلك النعمة الغالية التي تنقل الى النفس بهجة الحياة وجمالها وروعتها.

وأحست سميّة ان غضبها ويأسها ولوعتها تتضاءل كلها حتى

لتزول ، وان جماع عواطفها يستهدف الان هـذا الشخص الجالس امامها ، المطبق العينين إلى الابـــد ، بالرثاء والشفقة والعطف .. لقد كان بودها منذ لحظات ان تبكي لتتعزى من خيبة ، اما الان فان بودها ان تبكي لترثي لمعلمها ..

وكان يخطر لها ، إذ كانت تستمع إلى بعض ألحان أولية يعزفها على الكمان ، ان تقترب ، فتجلس بلصقه ، وتتلمس يديـه ورأسه وظهره ، وتربت عـلى كتفه ، تحبباً اليه وتوداً .. بل ان الرغبة عاودتها غير مرة في أن تصارحه القول بأنهـــا ستكون صديقته ومعينته وحاميته إلى الابد ، وان بوسعه ان يطلب اليها ما يريـد ويرغب بما يشاء .

*

.. وكانت جالسة عن كثب منه ، تتأمله حاني الرأس فوق كمانه ، تروح يده وتجيء بالمعزف على الوتر ، باعثة الانغام اشتاتاً بين هامس خافت ، ممتلىء الجرس ، او مرتفع عـــلى مدى ، رقيق الصوت مرهفه .. وكانت سميّة تنظر الى « شفيق » وملء نظراتها اعجاب بالغ بهذه الموسيقى الرائعة ، تنبثق من بين اصابعـــه ، فتستهوي الروح ، وتستثير الحواس .

وكان قد مضى عليها شهران تتعلم العزف ، وتتلقن الالحـان ، حتى وسعها ان تجلس وحدها ، حين تجد سانحة من وقتها ، فتعزف وتعزف حتى تكل ! وإنها لتذكر الآن ما قاله لها ذات يوم ، بعد انتهائها من توقيع قطعة موسيقية كان علمها اياها :

– ارى يا آنسة سميّة ان استعدادك كبير في الموسيقى ، وارجو

ان افخر يوماً بك !

فشكرته بكلمات رقيقة ، وعزت اليه الفضل كله ..

وما لبثت طويلاً حتى انست به ، فكانت تحدثه عن كل ما يجول بفكرها ، فيجيبها بكلمات قصار ، بيد انها كلمات بليغة كانت تقدرها اعظم تقدير . ولكنها كانت الى ذلك الحين تتفادى ان تتكلم عن شيء واحد ، هو ، على الرغم من ذلك ، يشغل فكرها ليل نهار ، ويغذي احساسها ، ويجعلها تعيش في صحراء قاحلة ، كل ما فيها سراب سراب .. كانت تشعر ان في قلبها فراغاً كبيراً .. فراغاً مؤلماً تقاسي منه وتعاني ، وتصبو ابداً الى ان يمتلىء منه جانب بما يدعونه « الحب » .. هذا الشيء الجميل الرائع الذي تتداول به لداتها في المدرسة في غمرة من الآهات والشرود .. هذه العاطفة التي تذوب للتعرف بها .. هذه الاحلام الهائمة التي تغمغم بها روحها في هدأة الكرى ، وتبغم بها شفتاها كما يبغم الاطفال بانشودة سرمدية ساذجة !

اجل ! كانت قد حدثت معلمها « شفيق » عن المدرسة والدروس ، والام والاسرة ، والكتب والمطالعات .. عن كل شيء ، الا عن هذا الشيء الذي تخشاه . وكان شفيق قد أجابها ما استطاع الى ذلك سبيلاً ، فتحدث عن الموسيقى والموسيقيين ، وعن تلامذته الذين يعلمهم العزف ، ولم يأت قط على ذكر ما يمت الى الهوى بصلة ..

وتنبهت سمية من غفلتها ، فأنحت ببصرها الى ذلك الشاب القريب منها يعزف بعض الحانه ، فنظرت الى عينيه المطفأتين .

ترى ، لو كان يبصر ، الما كان ينظر اليها ، هي سمية ، فيحدق في عينيها يرى فيهما الحنين والشوق ، بل اللوعة والوجد ؟ الما كان يرى الى جمالها هذا الفاتن ، وجسدها ذلك الساحر ، وقامتها الممشوقة الملتفة ؟ الما كان يعجب بها ، بل يحبها ، بل يعبدها عشقاً وصبابة ؟

ودنت سمية من معلم الموسيقى حتى اصبحت بلصقه ، واحست بشجاعة تدفعها للكلام عما صمتت عنه الى هذا الحين ، وقالت بصوت رقيق عذب ، ضاحكة بحيوية :

– حدثني يا استاذ شفيق عن كل شيء ، الا عن شيء واحد ، إخالك تتعمد الا تأتي على ذكره !

– وما هو ايتها الآنسة سمية ؟

فاجابت بعذوبة :

– هو الحب !

ورأته يختلج وتعروه رعشة ، بيد انه يسارع الى الكلام ليزيل ما ألم به من اضطراب فيقول :

– اسمع بعضهم يقول ، يا آنسة ، ان الحب شيء جميل ، بل هو اجمل ما يمكن ان يكون في هذه الدنيا ، وهو اعز ما يستطيع الانسان امتلاكه ، وآثر شيء لدى العشاق المخلصين ، وان الحب حين يمتلكه يبلغ ذروة السعادة ، وحين يفقده يؤثر الموت على الحياة . واسمع بعضهم يقول ، بل هو خداع كله ، ليس للانسان ان يؤمن به .. »

قالت سمية :

– وانت ، يا استاذ ، ما رأيك في الحب ؟

وراته يعود الى ارتعاشه ، بل بصرت بجسمه يهتز اهتزازاً ..
ثم يقول باضطراب :

ـ الحقيقة يا آنسة انني لم اعرفه .. حتى الان .. ولعلني لو كنت ارى وابصر ، كما ترين وتبصرين ، لكنت عرفته ..

وصمت المعلم ، فلم تنبس سميّة .. وطال صمتها ؛ ثم اذا بها تسمعه يقول :

ـ وانت ، يا آنسة .. ما رأيك في الحب ؟

ـ أنا ؟.. انا ، مثلك يا استاذ ، لا اعرفه على الرغم من اني ارى وابصر !

ثم ضحكت ضحكة مكبوته فيها اللوعة والمرارة . فرفّ على شفتي المعلم ظل ابتسامة خفيفة ، ونهض يود الانصراف ، فتقدمته سميّة ، وسمعها تفتح له الباب :

ـ الى الغد يا آنسة سميّة .

ـ مع السلامة يا .. . شفيق .

وخرج ... وراح يهبط السلم على مهل : انها المرة الاولى التي تدعوه فيها باسمه مجرداً ... ولو كان المعلم شفيق يرى ويبصر ، لعلم شيئاً آخر : لالفى سميّة ، اذ همّ بالخروج ، تقبل عليه باندفاع ، وتمدّ له يداً حارة تنشوق الى المصافحة ، وتحنّ الى ان تضمها يد حارة مثلها ..

*

ـ .. والآن سأسمعك ، يا آنسة ، قطعة موسيقية فرغت امس من وضعها ، وارجو ان تحوز رضاك .

وانحنى فوق كمانه ،وشرع يعزف القطعـــة . وارتفقت سميّة ظهر الكرسي ، تصيخ بجيوبة واعجاب ، واستمعت الى الموسيقى تنبعث من المعزف يلتقي بالوتر الحانياً سماوية رائعـة ، وخالت انها تستأنف حلم الليلة الذي انقطع على زقزقة العصفور امام نافذتها لدن شعشع الفجر . . انهـــا الآن ترى نفسها في تلك الحديقة الزاهرة المشرقـة ، الملتفة بعبق الازهار يخضّب الاجواء عبيراً وطيباً ، وأشعة النور تملأ الدنيا اشراقاً وبهجة ، والحان الموسيقى المسكرة اللذة .. انها في هذا المكان الساحر تنتظر الحبيب ان يصل ، فان موعده قـد حان .. وها هي ذي تنحني فتقطف وردة بيضاء تعبق عبيراً ، وستستقبله بها،فتضعها في عروة سترته.. والتفتت فجأة .. انه هو .. ها هوذا مقبل فياض المرح والبشر ، وتهرع هي فترتمي على صدره ، وتهمس في اذنه ان غيبتـــه طالت ، وتعاتبه بأرقّ الكلام ، فيميل على سمعها يمنّيها بمعسولات الآمال ، فتبوح له بانها تحبه من اعماق اعماقها ، وأن كل عرق فيهـــا ينبض بهواه ، وكل احساس يموربحبه ، فاذا هو يحوّط قامتها بيديه الحديديتين ، وتلتقي شفاههما في قبلة منعشة ، طويلة ، ناعمة ..

وتتنبّه سميّة من الحلم ، وتتطلع الى معلمهـا يبلغ في معزوفته ذروة الفن وغاية الروعة ، وتراه مستغرقاً في عزفه ، داني الوجـه من كمانه ، حتى ليكاد يلتصق ويمتزج به ، وان تقاسيم وجهه لتنبض بتأثرات روحه ، وان قطرات من العرق لتسيل على جبينه وخديه.. كانت سميّة تحس ان كل شيء فيـــه يعزف هـذه القطعـة ، لا يده وحدها ، وان هذه الالحان تتجاوب عـــلى صدى مشاعره

واحساساته ، وانه لا يتوصل الى ارسالها الا بجهد مضنٍ تبدو علائمه في تأثرات وجهه وتشنجات كفيه ..

وأيقنت بعد لحظات ان هذه الالحان هي التي حملتها الى ذلك الجو العابق بالاحلام الساحرة ، وانها مطمئنة اليه كل الاطمئنان سعيدة به غاية السعادة . واستمعت اليه ينهي معزوفته بلحن رقيق ناعم يرتفع رويداً رويداً ، يدق ويرهف ما سما .. وأحست سميّة ان شعوراً جديداً يخالجها ، فاذا هي تنهض ، وتأخذ بكفه بين يديها وتقول بلهجة ثاقبة عذبة :

– مدهشة .. رائعة هذه القطعة يا شفيق !

واحتفظت بكفه لحظات ، بينا كان يتمتم شكراً لها . وشعرت بحرارة متوقدة تلتهب بها كفه . ولاول مرة ، آمنت بان معلمها شاب تتدفق في عروقه حرارة الفتوة والشباب ..

– وماذا دعوت هذه المقطوعة يا شفيق ؟

– « اشواق » .. يا آنسة سميّة !

اشواق ! .. أتراه حقاً يعبر عما يخالجه ..؟ انها لا تعلم ! ولكن الذي تعلمه انها إذ آوت إلى سريرها في المساء ، أحست بانها أصبحت تحب شفيق « من أعماق أعماقها ، وان كل عرق فيها ينبض بهواه ، وكل احساس يمور بحبه .. » وانها لا حاجة لها بعد ، بان تخلد إلى الاحلام ، فهي قد التقت أخيراً بفتى أحلامها ! ..

*

.. وكانت سميّة تعتقد ألاّ طاقة لها بعد بالانتظار ، وان اربعة ايام قضاها شفيق بعيداً عنها ، لا يزورها ولا يستأنف تعليمها العزف ،

كانت كافية لان تنزع كل ما علق بصدرها من أسباب الصبر ، وتقطع في فؤادها خيوط التريث ..

لقد آذنها المعلم انه سينقطع ثلاثة ايام عن اعطاء الدرس لشيء هام يشغله، وحين حاولت ان تسأله عن هذا الشيء، اعتصم بالصمت، فلم ترد ان تلح . ولكنها لو كانت تعلم ان غيبته ستورث في نفسها هذا الحنين المضطرم، بل هذا الشجو والألم العميق الذي جعلها توقن ان حب شفيق تمكّن من نفسها ، وملك عليها فؤادها ، وكاد يعيدها إلى جو ذلك السراب والحرمان ... لو كانت تعلم ذلك ، ما تركته يذهب قبل ان تتفهم السبب ، بل ما دعته قط يهجرها ، بل كانت تمسك بيديه الحارتين ، وتحدق في وجهه الفنيّ الصبوح وتبوح له بمكنون فؤادها، وبأنها تريد ان تحتفظ به الى الابد لنفسها وحبها ..

وأحست سميّة ان هذه الايام الاربعة لم تنقض الا لتزيدها شوقاً اليه وحباً به . وكانت تقضي جل اوقاتها في تعلم معزوفة « اشواق » التي وعدت معلمها ان تتقنها في اثناء غيابه ، لتلقيها على مسمعه حين يعود ..

ولم تكن أقل تيقناً من ان « شفيق » سيقبل بعد حين ، في ساعته المحددة، على الرغم من انه تأخر يوماً كاملاً عن موعد زيارته. فلا شك في ان عملاً قد تقاعده عن المجيء . ومهما يكن من امر ، فان سميّة كانت تعتقد بان عزمها لن يفل : كانت مزمعة على ان تبوح له بعد عزف المقطوعة ، بحبها له ، اياً كان موقفه منها ومن هذا الحب .. ستقول له « انني أعبدك يا شفيق ، وانا سأعوف بك،

راضية بحبك ، سعيدة برفقتك كل السعادة ، غير انها لم تكن لتكبت هذا الشعور المخيف الذي كان يساورها : شعور الخشية والاشفاق من أن يصدها شفيق ، فيسخر بحبها ، او يقنعها بانه لا يليق بفتاة مثلها ، طالبة ما تزال ، في السابعة عشرة من عمرها ، ان تحب استاذها معلم الموسيقى !... وكانت سميّة ازاء هذا الشعور ، تكابد ألماً معنوياً شديداً ، بيد انه لم يكن ليثنيها عن عزمها بان تحسر لشفيق عما يراود فؤادها .

... وسمعت طرقاً خفيفاً على الباب ... انه هو ... وسارعت إلى فتحه خافقة الصدر ، مرتعشة الكيان ، واستقبلته بترحاب وحفاوة وحدثته ان غيبته طالت . فابتسم ابتسامة خفيفة ، ثم لم تجد الا ان تحمل الكمان وتبلغه بانها انقنت عزف مقطوعته ، وجلست على مقعد قريب وابتدأت العزف .. ولم تلبث طويلاً حتى استغرقت فيه ، ودنا وجهها من المعزف ، وتجاوبت زأثرات نفسها على تفاوت الانغام ، وعاودتها تلك الرؤى المسكرة الفائضة بعبق الازاهر والطيوب والانوار والالحان ، واستقبلت حبيبها بفرحة وشوق ..

واذ بها فجأة تتوقف ، حين رأت معلمها ينتفض على ارتعاش ، ثم ينهض ويتجه نحو الباب ، متلمساً الجدار حتى بلغه .. وكان بودها أن تقوم اليه ، فتمسك بذراعه ، وتغلق الباب ، بل تقفله لتحدثه عن لواعجها .. ولكنه كان قد خرج ..

وكانت مسمّرة على مقعدها .. وأحست بفيض من الدموع يترقرق في محجريها .. وفجأة خطفت بصرها ورقة مطوية بيضاء ،

كانت على المقعد الذي غادره المعلم منذ لحظات .. فنشرتها والرعشة تهز جسدها ، والدمعة تجمد في عينها ، وانشأت تقرأ :

« إلى الآنسة العزيزة سمية

« أملي هذه الرسالة على أحد تلامذتي قبل ان أقصد دارك لآخر مرة ، وقد كان بودي أن انقطع عن زيارتك ، حين ابلغتك انني لن أتمكن من المجيء لمدة ثلاثة أيام . ولكن الذي ثناني عن هذا العزم انك وعدتني ان تتقني عزف مقطوعتي الاخيرة في هذه الايام الثلاثة . فاذا كنت قد قدمت اليوم ، فلكي يتاح لي ان استمع من بين انامالك التي اعتقد انها مرهفة دقيقة ، الى انبثاق « اشواق » .. عصارة روحي وذوب مشاعري . ولست أدري لماذا أشعر ، كلما عاودتني بعض الحان هذه المعزوفة ، أو تخيلتك ، ايتها الآنسة العزيزة ، تعزفينها ، بدمعة كبيرة تطفر الى عيني ..

« وقد تتساءلين الآن ، لماذا انقطع عن زيارتك ؟ ولا بأس ، فقد اعتدت ان تقفي مني هذه المواقف ، ولم تشائي ذات يوم ان تفهميني ، فقد يكون من سوء حظي انني عرفتك ، لانني أحببتك ، وانت الفتاة الاولى التي احب .. وقد كنت ارجو يوماً ان تنكشف عن عيني غشاوة العمى ، وينفذ اليهما بعض النور ، لتبيني ، ايتها الآنسة العزيزة ، ما تمور به عيناي من حب لك وصبابة بك .. كنت ارجو أن يقع ذلك مرة واحدة في عمري ، ثم أعود إلى عماي .. ولكن ..

« وانك ، ايتها الآنسة سمية — وما آثر هذا الاسم لديّ — لم تكوني لتلاحظي يوماً ، كلما قصدت بيتك أو خرجت منه ، أو

حدثتـــك أو حدثتني ، ان رعشة تعروني ! وإن تكوني لاحظت ذلك، فانه لن يعنيك من الامر شيء ، ولن تحاولي ان تتفهمي السبب ، وان هذه الرعشة ، انما هي اختلاجة الهوى في اضلعي..

« وانا على يقين يا آنسة انني لم أكن ازاءك الا موضع رثاء ، ومحل عطف .. وانا أعلم حـــين كنت احدثك انك ترثين لي ، فاختصر الحديث ، وحين كنت ازورك ترثين لي ، فاقصر الزيارة ، وحين كنت اعزف ، ترثين لي ولقطرات العرق تسيل على جبيني ، فلا أدري ماذا أفعل .. وانت كذلك الى الابد : ان هـذا الاعمى مسكين حقاً ! .. انه ليستحق الرثاء ! ..

« وقد كنت اخدع عن نفسي أحياناً ، يا آنسة ، فأظن انـني أصبحت بحبك مبصراً ، وان هواك ازال عن عيـــني الغشاوة .. ولكنني حين كنت ارفع يدي الى عينيّ أتلمسها بها ، يدمي الواقع فؤادي.. انك ما زلت أعمى وستظل ! وهذه الاشتات من عواطف الحب والالم واللوعة التي كانت تضنيني وترمض روحي ، تجمّعت عصارتها بين يدي لتخلق « اشواق » ..

« ولكن الذي لم اكن في شك منه قط ، انك لن تفكري يوماً بان تبادلي هذا الاعمى المسكين عاطفة ملكت عليـه نفسه .. ذلك كان اعتقادي وما يزال : فانت فتاة في مطلـع العمر وريعان الصبا ، ومن اسرة غنية ، وتتلقن الثقافـة وتدرس ، وتنظر الى المستقبل نظرة ملؤها الامل والرجاء ، وتتطلع الى اليوم الذي تجد فيه شاباً جميلاً ، قوياً ، ثرياً ، سليم الاعضاء ، لا عاهة فيـه .. فمن هو ذلك الاعمى الذي أقبل يعكر صفو أحلامها ، ويعبث برّيق

آمالها ؟ ! ..

« ولهذا كله ، كنت لا أجد الا انطوي على نفسي ، واكبت دائماً حبي ، ولو كنت أعاني من ذلك ما لا تعلمين .. ولهذا كله أيضاً ، صحّ عزمي ان انقطع عن كل شيء .. فانني بعد اليوم ، لن اعلّم العزف أحداً .. وسأعيش هناك .. بعيداً .. في كوخ صغير ، لا يليق به الا أعمى مسكين مثلي .. سانقطع عن كل شيء ، وكم يحرّق نفسي ان انقطع عنك ، فاحرم انسك ولطفك ، ويدك الصغيرة الجميلة تضعينها بين يدي الغليظتين ، وصوتك الناعم الرقيق يتنازل فيلفظ اسمي .. ولكنني ساحتفظ أبد الدهر بشيئين عزيزين ، علّهما يحملان بعض العزاء والتفريج : اولهما هذا الحب الطاهر الذي تضمه جوانحي لك ، والثاني هذا الكمان .. ولن احتفظ بهذا الكمان الا لامر واحد : هو عزف مقطوعة « اشواق » التي ستظل أضلعي تخفق بها لك يا .. سميّة .. او لا تسمحين ان أنطق باسمك مجرداً ، ولو مرة واحدة في العمر ؟؟ .. »

« شفيق »

أمومة

كنت أتأمله معنيّاً كل العناية باختيار أجمل ازهاري وأغلاها ثمناً وأوفرها شذىً وعطراً .. وكان يهتم بجمعها وتنسيقهـــا اهتمام عاشق مدنف يتوسل بها الى إرضاء حبيبته وإعجابها .. إنـه اليوم السابع الذي يدخل فيه هذا الشاب الصبوح ، المشرق الوجـــه ، الناعم القسمات ، المرهف النظر ، حانوتي ، فيجمع باقة متضوّعة من الازاهير وينقدني ثمنها ، ثم يودّعني بطيف بسمة ساهمة ، قبل أن يتوجه الى المقبرة التي تقع من حانوتي غير بعيد .. ولست أدري ايّ حافز كان يدفعني لانتظاره ، لأراه بعد حين خارجاً من المقبرة ، يكفكف بمنديل ابيض دموعاً ترقرقت في عينيه ..

إن سراً يستكنّ ولا ريب بين جنبي هذا الشاب ، وينطوي في جانحتيه ، فيتململ في ناظريه حيرة واسى وشروداً .. وأحسست برغبة ملحاح تدفعني في آن واحد لان أطّلع على سره ، وان اواسيه وافرّج عنه ، اذا كان ذلك في وسعي . وتهيبت الموقف باديء ذي بدء ، فليس بودي ان انكأ جراحات ربما صارت الى الالتئـــام والبرء . ولكني دنوت منه اقدم له وردة كبيرة بيضاء ، يضمها الى باقته ، وقلت له بلهجة مترددة ، محترسة :

– أأؤلمك إن سألتك يا سيدي عن الشخص العزيز الذي فقدت؟

فتنبه من غفلته ، وأنحى اليّ نظرة ساهمة زخرت بالاسى ، ثم لم

يحر جواباً .

– أيكون والدك او عمك او خالك ؟

فأومأ برأسه نفياً .. قلت : أيكون شقيقك او شقيقتك ؟ »

قال :

– لا ..

قلت :

– « اذن هي زوجتك او خطيبتك او ..

فعاد يومىء برأسه نفياً وقد ارتسم على شفتـــه طيف شجو .. وحرت انا في امري .. ووجدتني في حرج .. إذن فمن يكون ؟ وفجأة فطنت الى انني نسيت ان اذكر شخصاً قـــد يكون آثر انسان واعزه لدى المرء .

قلت في لهجة إقرار واقتناع :

– إنها امك اذن ؟

فتلبّث لحظـات لا يجيب ، ثم ادنى منه كرسياً قريباً جلس عليه كأن قواه قد خارت ، وقال بعد لحظات :

– لا .. انها ليست امي .

فحدقت فيه وقد ملأ العجب نفسي ، وهممت ان اقول « إذن فمن يكون ؟ » إلا انه بادرني كأنه يستدرك :

– بلى .. انها امي .

فتأملت له وقلت بصوت خفيض :

– انـه لمصـاب جلل .. فعزاء لك وسلوى ، يا سيدي !

قال وفي صوته ظل من نشيج :

- انت أول من عرف ذلك. فاستمع احدّثك بمكنون سري...

*

« كنت ذات صباح متوجهاً كعادتي الى مقر عملي حيث اشتغل كاتباً لاحد الملاكين . واذ بلغت اول منعطف يفضي الى الغرفة التي أنزل فيها ، ارتفع بصري عفواً الى شرفة دار هناك ، فبصرت بامرأة في سن الكهولة تتبعني ببصرها في اهتمام ، فلم آبه لها، وواصلت سيري . بيد انني إذ عدت في المساء ، رأيتها على الشرفة في مثل وقفة الصباح ، كأنها كانت تنتظر عودتي. واعتراني اضطراب فجائي، الا انني لم انقطع عن مواصلة سيري الى غرفتي .. وتصرمت ايام لم تكن لتتغيب فيها عن المثول على الشرفة لدن ذهابي ومجيئي .. وكنت الاحظ انها ما فتئت تحدّد اليّ النظر ، وتزداد تحديقاً فيّ .

وكنت ألمس في نظرتها عاطفة مبهمة لم اشعر الا ان فيها طيف حنين .

وانقضت تلك الايام ، دون ان يكون من همي ان ابادلها نظرة تكنّ اية عاطفة .. بيد انني الفيتني ذات مساء مشغول الفكر ، متوزّع البال ، أتساءل في حيرة تملمني : ولكن اي شأن لها بي ؟ وماذا تبغي مني ؟

وعلى الرغم من انني لم اكن اجد مبرراً للاهتمام بها ، فانني كنت احس انها تشغل حيزاً كبيراً من تفكيري . وأحببت ذات يوم أن ادقق في ملاحظتها ، علّني ابلغ بعض ما هو مستغلق عليّ من امرها . ولست أدري ، إذ بلغت المنعطف ، ما الذي دفعني الى ان احني رأسي بالسلام عليها ، فاذا هي تنثني على الحاجز ، وتهز رأسها

رداً لتحيتي ، ثم تبسم بسمة لا ادري كيف اصفها : بسمة تحوي عطفاً وحنيناً وألماً . ألم عميق تفسره نظراتها وتترجم عنه قسمات وجهها .. وكما وجدتني اسلم عليها عفواً ، الفيتني اتابع طريقي الى مقر عملي دون ان يتجاوز الامر ما حدث ..

وفي اليوم التالي ، القيت عليها السلام . فلاحظت عليها تردداً وحيرة لم ادر مبعثها . كانت تضع يدها على الحاجز ، ثم ترفعها الى رأسها تمسحه بها ، ثم تضعها على اعلى صدرها .. كأنما كانت تريد ان تشير لي اشارة ما ، فيحبسها عن ذلك سبب ما .. وتابعت طريقي دهشاً ، ولكن خطر لي أن التفت الى الشرفة قبل ان انفتل في المنعطف الثاني ، فرأيتها ترفع الى عينيها المنديل ، كأنما كانت تبكي ..

وأحسستني لا اطيق ان انحّي هذا الامر عن ذهني ، ورأيتني استغرق فيه عند كل لحظة فراغ ، فأقلبه على وجوهه ، فما أزداد إلا بعداً عن فهمه وإدراكه .. ولم يهدني حدسي الى اي عمل آتيه ، فيكون لي فيه مخرج من هذا الحرج الكؤود .

ومرّت عدة ايام اخرى كنت ألاحظ فيها على المرأة الكهلة علامات الارتباك نفسها ، وسمات التردد عينها .. وكنت اجدني ، انا الآخر ، مرتبكاً متردداً لا ادري ما افعل .. ولكنني لحظت فيما بعد انها تكون جالسة إذ ألمّ بالشرفة ، وانها تجهد في ان تأتي بعض الحركات فلا يتقدّر لها ، كأنها لم تكن تستطيع ذلك ؛ وقصارى ما كانت تعمله أن تبسم لي بسمة حزينة ساهمة .. فابادلها اياها .. بيد انني شعرت ذات صباح ، ان من واجبي ان ارى هذه المرأة عن كثب ، وأن

اقابلها ، واتفهم منها ما تبغي ، فقد تكون بحاجة الى عون او مساعدة . ولكنني حين مررت بدارها ذلك الصباح ، كفرت بهذه الفكرة .. ان دارها فخمة جميلة ، فلا بد ان تكون ذات ثراء ، ولا بد ان يكون لها من يعينها على امرها ..

غير انني عدت اشعر وأنا في مقر عملي ، برغبة ملحة في ان اقابلها واستبثها سرها .. وما يدريني ؟ لعلني اصيب منها فائدة ، أنا الذي يعيش في عسر من العيش ؟! وهممت ذات مساء ان اطرق بابها ، ولكن تهيباً عراني ، فصرفني عن ذلك .. واعدت محاولتي مراراً ، فكنت أخفق قبل ان تطرق أصابعي الباب ..

وذات صباح ، مررت بالشرفة ، فراعني ان اجدها جالسة على كرسي طويل ، ملتحفة برداء صفيق ، على الرغم من ان الجو كان حاراً ، ولمست ان الانشراح الذي يشرق به وجهها ، كان متلاشياً ذلك الصباح .. ولم تستطع الا ان تبسم لي بسمتها الحزينة .. واذا انا اشعر بالم لها ، وبشيء غير الألم .. احسست اني غدوت احب هذه المرأة ، وأن وشيجة من مودة قد ربطت بين نفسينا ، وانني القى منها عناية وعطفاً تطيب نفسي بها . وعقدت النية ، اذ اعود في المساء ، على ان اطرق بابها دون ما تهيب ، وان اواجهها ، واستطلع امرها ، واقول لها ان بوسعها ان تعتمد علي ..

ولكن حدث في ذلك اليوم ما لم اكن احسب : ذلك ان الملاك الذي كنت اعمل كاتباً لديه ، امرني ان اتوجه الى قرية خارج المدينة يود ان يبيع فيها املاكه الواسعة ، ويريدني ان احضر هذا البيع حتى يتم .. وعلى الرغم من انني جهدت وسعي للتعجيل في بيعها ، فانني قضيت

اربعة ايام في القرية، اعين الملاك على مقاولة الزبائن ومساومتهم. وفي مساء اليوم الرابع عدت الى المدينة، وفي نيتي ان اصل ما انقطع من اسباب عزمي على طرق باب المرأة العجوز، ولكني حين فتحت باب غرفتي لابدل ثوبي، عثرت امام العتبة على مغلف ابيض .. »

ووضع الشاب باقة الازهار التي كان قد اتم جمعها، ثم اخرج من جيبه مغلفاً ابيض قدمه الي دون ان يقول شيئاً، ففتحته على عجل، واذا أنا اقرأ :

« عزيزي نعيم ..

« يشاء القدر الظلوم ان يصيبني مرض الموت الذي اشعر به شعوراً جلياً، قبل ان تتاح لي رؤيتك عن كثب، ومكاشفتك برغبتي التي ترمضني منذ وقت غير يسير. لقد اعدت الى نفسي يا نعيم املاً كنت احسب انه تلاشى الى الابد .. لقد كانت احاسيسي كلها زهداً بالحياة، قبل ان اراك، فاشعر ان بوسعي أن اجدد املي في الحياة، اذ اجدد حب « فؤاد » فيك .. فؤاد، ولدي الوحيد، الذي طعنني القدر الغشوم بقتله، يوم ضحى به في اصطدام مروّع، حين كان عائداً من كليته يحمل دبلومها النهائي، والفخر والاعتزاز ملء برديه، والرجاء المستطاب طيّ جانحيه، ففجعت باعزّ الناس اليّ في اجمل ايام حياتي، وظللت مصروعة بهول المصاب، اعاني أشد مشاعر الألم، واسلم نفسي للقدر، يعدم فيّ الحياة كما اعدمها في فلذة كبدي .. حتى رأيتك يا نعيم وانت تجتاز الطريق تحت شرفة داري، فنظرت اليك ملياً .. وراحت شفتاي تتمتمان على خشية : اليس هو يشبهه ؟ وردّد كل ما فيّ : بلى. انه

يشبهه شبهاً عجيباً .. انه ينزع الى فؤاد في قامته الفارعة ، ووجهه المشرق ، ونظره المرهف .. ورحت انتظر مرورك ، احدق فيك ، وانا اخشى ان اكون في حلم .. ورحت انعم برؤياك ، فارى « فؤاداً » واسرّ لك ، فاسرّ لفؤاد، واشعر بحبك ، فاستعيد حبي لفؤاد .. وظللت انتظرك صباح مساء ، وكانت اجمل لحظات حياتي لحظة تمر فتبادلني نظرتي الحنّانة .. واذا انا اشعر ذات يوم برغبة افرحتني وآلمتني بوقت واحد : كانت تفرحني حين اتخيل انك ترضى بها ، وتؤلمني حين امثلك منصرفاً عنها .. كنت اريدك بقربي يا نعيم ، اتلمّس يديك ورأسك ووجنتيك وافضي لك برغبتي في ان .. تحل محل ولدي فؤاد .. كنت أرغب رغبة مرمضة في ان تعيش الى قربي تشعرني بحبك، وتتيح لي ان استعيد عاطفة الامومة التي فقدتها ، فانعم بدفئها .. كنت على استعداد لان أبذل كل ثروتي في هذا السبيل ..

ولكنني كنت اصطدم أبداً باروع حقيقة : ان اماً لن تتخلى عن حب ابنها ، وان ابناً لن يتخلى عن حب امه ولو بُذل مال الدنيا لها .. والذى كان يفاقم المي ، انني لم اكن اعلم عنك شيئاً .. اننى لا اعرف الا انك تسمى « نعيم الغالي » كما افهمني بائع الفاكهة .. وفي سبيل ذلك ، كنت اجهد في ان استميلك اليّ ، اذ كنت تلمّ بالشرفة . فاحاول ان اومىء لك بالمجيء، فتخونني حركاتي، وتحبسني عن دعوتك خشية الصد ،وخوف الهزؤ ، فاجتزيء ببسمة حزينة تفرج من كربتي . وانك لم تكن لتلاحظ يوماً انني كنت ابكي فيك فؤاداً ، وكلما غربت عن ناظري ..

انك لم تكن إلا لتزيدني شوقاً وحنيناً الى ولدي القتيل الغائب ، اذ لم يكن يتاح لي ان اراك عن كثب . وعلى الرغم من انني لم أفقد الأمل كله في ان اقابلك يوماً ، فانني كنت احسّ أن الوهن يفتّ في عضدي ، والضعف يدبّ في كياني ، فاستشعر اقتراب منيتي .. ولكنني كنت اكتفي برؤيتك مرتين كل يوم ، واتزوّد من نظراتي اليك بقوة تمسك عليّ رمقي بعض الزمن . كنت اتحمل المي وضعفي في سبيل ان اخرج الى الشرفة لانعم بمرورك . وكنت أرجو يوماً أن تشعر بانني اكابد مرهف الالم في البعد عنك ، فتوليني بعض عطفك .. الى ان اتى اليوم الذي انقطعت فيه عن المرور ، فقوضت في نفسي آخر خيوط الرجاء والامل !

وارسلت خادمتي تبحث عنك لتنبئك انني قد اوصيت لك بكل ثروتي واملاكي ، فكانت تصطدم طوال ثلاثة ايام ببابك المغلق ، وبجواب « لم يأت بعد » في مقر عملك .. وكان هذا كافياً لان يبدد آخر آمالي ويذروها هباء .. وامرني الطبيب بلزوم فراشي ، فلزمته مكرهة ، وعيناي معلقتان بالشرفة تنتظران مجيئك .. وها هو اليوم الرابع قد اتى ، وانت لما تجيء ، وانا احسّ في كل لحظة ان الموت ينشب في صدري اظافره ..

فاذا بلغتك هذه الرسالة وانا بعد في قيد الحياة ، فنعمت هي اللحظة التي تسمح لي فيها أنْ أراك ، وأن أضمك إلى صدري آخر ضمة ، فاتذكر ولدي آخر ذكرى .. واذا بلغتك رسالتي ، وقد طواني الردى ، فلا تنسَ أماً فجعت بولدها ، فراحت تلتمس العزاء في شخص يشبهه ، واحبته .. وطب نفساً يا عزيزي نعيم في

ان تلقي على قبر هذه الام زهرة ترطب تربته.. ووداعاً ، يا ولدي الاخر .. »

« اميرة سالم »

*

نظرت الى « نعيم » الشاب ، وانا اغالب دمعة تأبى الا ان تطفر من عيني ، ورأيت في عينيه ، هو الآخر ، دمعتين كبيرتين كتفكفهما ليتابع حديثه :

« لم اكد انهي قراءة هذه الرسالة ، حتى أحسستني اندفع على عجل ، دون أن ارتدي ثوبي النظيف ، فتسوقني الارض سوقاً ، وفي صدري أمواج متلاطمة من الهم والعذاب ، وملء نفسي أمل يتيم في ان اجدها على قيد الحياة ..

ورقيت سلم الدار ، وانا اكاد أتعثر لفرط ما بي من اضطراب.. وطرقت الباب فبرزت الخادمة وبادرتني بالسكوت ، وراحت تسألني عما أبغي ، وشعرت انني أدفعها جانباً ، وأتوجه من غير وعي إلى داخل الدار ، وما لبثت ان رأيتني أمام باب مشقوق ، ما عتم ان خرج منه طبيب ، فاشار الي بالصمت ، وامسك بذارعي وهو يقول :

— ارى الا تقابلها الآن ... انها في حالة خطرة ..

فغشيتني موجة ذعر وخوف ، ولبثت لحظات متقطع الانفاس ، ولست أدري أية قوة استشعرتها عنـــد ذاك ، فأنحيت الطبيب ، ودخلت الغرفة بقدم ثابتة ..

رأيتها في سريرها ، مغمضة العينين ، يعلو قسماتها الاصفرار

والشحوب ، هادئـــة ساجية ، ما تنبس او تريم .. واقتربت من السرير راعش القلب ، واجف الصدر ، ولبثت أتأملها لحظات .. وجننت فرحاً ان أرى صدرها يعلو ويهبط بالتنفس ، ثم رأيتهـــا فجأة تفتح عينيها كأنما استشعرت وجودي ، وما لبثت ان حدّقت فيّ ، ثم إذا بوجهها يشرق اشراقة الحنين ، وتهبّ جالسة في سريرها ثم تمدّ ذراعيها بقوة وتتعلق بعنقي وهي تصرخ :

– فؤاد .. حبيبي .. روحي ..

ثم اذا بي أحس بغتة بذراعيها تسترخيان ، وتنملسان عن عنقي ؟ ويثقل جسدها ، فتهوي على وسادتها ، واذا أنا اهوي فوقها ، الثم وجنتيها وجبينها ورأسها ويديها ، وامرغ دموعي في عنقها ، واردد والنشيج يقطع انفاسي ويبحّ صوتي :

– امي .. حبيبتي .. امي ..

وهرع الطبيب يجس نبضها ، ثم التفت اليّ يائساً وهو يقول :

– كان آخر جهد بذلته .. كانت الصدمة شديدة جداً .. لقد ماتت !

قال نعيم ، وقد نهض يحمل باقة الازهار :

– أجل دعوتها بامي .. لأنني وحيد في هذه الدنيا .. لقد فقدت أمي وانا بعد في المهد ، فحرمت عطف الامومة الرؤوم وشعورها الحادب .. وكم تمنيت لو أن أحداً يعطف عليّ ويحنو على فؤادي اليتيم ، فينسيني الحرمان واللوعة والمرارة .. حتى اذا أوشكت على بلوغ هذه الامنية في « اميرة سالم » تعرّض القدر الظالم فبدد لي الامل ، وهكذا فجعت بامي مرتين !

ورفع نعيم منديله الى عينيه يلتقط دموعاً صبيبة ، لم يستطع لها

دفعاً ، فتناولت بيدي اليمنى اكليلاً جاهزاً من الزهور والرياحين ، وتأبطت بيدى اليسرى ذراع نعيم ، وخرجت معه الى المقبرة ، لاضع باسمي باقة ثانية على رمس امرأة ، فجعت ، هي الاخرى ، بابنها مرتين ...

امرأة

الفيتني فجأة ، وانا على الشرفة ، معلّق النظر بتلك النافذة ، انهب بعينيّ النهمتين محاسن ذلك الجسد ، واتملّى من مفاتنه ..

كان غضاً كالزهر ، ابيض كالعاج ، رائع التكوين ، منسجم التقاسيم ، يحار النظر في ايّ موضع يستقرّ منه ، وان كل موضع لينافس الآخر سحراً واغراء..

وكنت لا اصدق عينيّ ، كأنما انا في حلم .. وراعني انها بصرت بي احدّق فيها النظر ، فلم تتحرك ولم ترِم ، كأن من شأنها ان تعرض جسدها على الناس ، لتصعّد من صدورهم آهات رغبة مضطرمة ، تزيدهم جوعاً واواماً ، وظلت تنظر إليّ لا يخفق في عينيها معنى ، ولا يضطرب شعور ، كأنما عُطلت فكراً وحسّاً ..

وبغتة ، اقبلت امرأة لم اتبين ملامحها ، فنحّت الفتاة ، واغلقت النافذة .. ومع ذلك ظلت احملق في الزجاج !

*

وعلمتُ فيما بعد ان هذه المرأة التي نحّت الفتاة عن النافذة هي امها ، وانها تزوجت ، وهي في الثامنة عشرة ، رجلاً في الاربعين .. وكانت ذات جسد ممتلىء ، وقامة فارعة ، وصدر عريض ، حتى ليخيل لمن يراها انها في الثلاثين ، وهي بعدُ في الثامنة عشرة ... والحق ان نموّها كان سريعاً ، وان شبابها قد حارَ وشيكاً ، فبدت

انوثتها على غاية النضج في تلك السنّ المبكرة . وسرعان ما تنبّه الناس الى انها أصبحت ثمرة غضرة قد حان قطافها ، وانها جديرة بان تُسعد قرينها، وأن تغمره بهجة كريمة قلّ ان تجود بمثلها فتاة ..

وكان ذووها يحوطونها بعناية فائقة ، وحرص شديد على ألا ترتقي اليها شبهة ، وقد بالغوا باحكام النطاق حولها ، بعد ان استشعروا تهيؤها لمفاتن الشباب ، واستعدادها للانغمار في تياراته الجارفة .. وكثيراً ما كان والدها يدخل عليها الغرفة فيلفيها مستغرقة في نشوة حالمة ، وما هي بالمغفية .. وكثيراً ما لمس فيها رغبة للانطلاق ، وهوىً شديداً لأن تهب هذا الجسد الناضج ، ما هو بحاجة اليه من تحرّر ، واندفاع ، ورغبة ..

واقبل من يطلب يدها ، فكانت للوالد نِعمَ الفرصة الملائمة ؛ ولم يتردد ، ولم يكن يخشى ان تعارض الام ، وهي مِطواع ..

وتمتمت « سامية » وهي لا تكاد تبين :

ـ ولكنه كهل يا ابي .. انه في الاربعين !

اجابها بلهجة الآمر ، لا رادّ لامره :

ـ ليكن كذلك .. انه خير ممن هو في سن العشرين أو الثلاثين ؛ انه محنّك ، وفاهم الحياة .. ثم إنه غنيّ ...

ورضخت سامية ، ولكنها كانت ترضخ الى ما هو اقوى من ذلك دافعاً ، وأشد غموضاً .. كانت تستجيب لنداء صارخ يهتف به كيان مكتمل ينشد التمتّع ، ويرغب الاستسلام .

وتزوّجت سامية رجل الاربعين، فخيّل اليها انها تسكت النداء الذي يمور بين أعضائها .. وكان هو في استجابته للنداء ، معتدلا

رفيقا ، يضع الامور في مواضعها ، وفي أوقاتها ، ويحرص على ألا يحمّل نفسه فوق ما تطيق تحمّله .. بيد ان النداء كان يرتفع ويشتدّ ، ما سعى هو ، خليل ، الى الاعتدال والتوسّط ! وحاولت سامية ان تحدّ من سورتها ، وتطامن من حيويتها ، فلم تكن تزداد إلا سورة وحيوية .. كانت كالصديان ، يرى السراب ، فيوقن ان عطشه لا بدّ زائل ، حتى اذا بلغه ، ازداد صدىً حتى ليكاد يختنق !

وكان لا بدّ للفجوة ان تتسع .. وكان لا بدّ أن تستشعر هي الحرمان ، حرماناً يعذّبها ويقضّ عليها المضجع ويرمضها . كانت تشعر ان جسدها يكاد يُدفن في ظلام الموت ، وهو ينشد أبداً نور الحياة ... كانت تحسّ انها مريضة ، وان هذا الجسد يفتقر الى البرء والشفاء ، وان الدواء الذي يُعالج به ، ضئيل تافه ، هيهات ان يُشفى !

ووضعت سامية طفلة ، فحسبت انها شغلت بهـا عن نفسها ، وغمرها زوجها بفيض من العطف والحدب والحنوّ كاد ينسيها الذي بها . ولكن سرعان ما أحسّت بان عاطفة الامومة عاجزة عن ان تنيم فيها ذلك الشعور : الرغبة والحنين ، والنهم ... بل إنّ هذا الشعور بلغ من القوة والامتداد مبلغاً صرفها عن العناية بطفلتها ..

وفي تلك الفترة ، دفعهـا العذابُ والحرمان الى التفكير .. وطاب لها ان تتفكّه ، وهي تبكي ، وان تسرّي عن نفسها ، وهي تتعذّب .. اضحتْ تنظر الى زوجها خليل نظرة حقد وغيظ وحنق ، وراحت تنحي باللائمة على ذويها ، وعلى نفسها ، ان ارتضتْ زوجاً لها ، رجلاً قضى اربعين سنة من حياته يرتشف من منهل الحياة واللذة

ما كان حسبه .. لقد ارتوى ، فَقدِمَ يطلب في كنفها ان يُنهي ايامه الباقيات في وَدَاعة وسكون . . واضمحلال ! .. وهي . . هي المحرومة .. كانت في بدء ارتقاء السلّم .. سلم الحياة ، وإنّ في إهابها لروحاً تثور ، وقلباً يضطرب ، ودماً يغلي !

كان هو .. يموت .. بينما كانت هي تحيا !

وضحكت سامية ؛ بيد ان ضحكتها ما لبثت ان تحوّلت الى مظهر للالم المبرّح ،والعذاب الشديد .. والتفتت . فرأت طفلتها .. وبكت سامية وتمتمت شفتاها :

ـ لولا هذه الطفلة ..

وتصرّمت سنوات ثلاث، كانت الزوجة خلالها تحاول جهدها ان تلتفت الى طفلتها وتحدب عليها ، وتنشغل بها ، وتهبها من حبّها الواناً رقيقة زاهية ، وتحرص على ان تربيها في جو من الرفعة والدلّ والرفاه .. وكان الزوج هدفاً لسقام لا يزاوله إلا لماماً ، بسبب ضعف في القلب موروث .. وسرعان ما بدت عليه مخايل الكبر ، وسمات الشيخوخة ، فكان يحرص على ان لا يأتي المجهد من العمل ، مجتزئاً بثروة تبعد عنهم شبح الفقر والجوع سنوات عديدة .

وحين آوى خليل ذات ليلة الى فراشه، لحظ فجأة ان زوجته لم تعد معنيّة بطلب الوصال لتحقيق لذة الزواج .. والحقّ ان سامية اضحت كذلك .. ولكنها كانت تنتقم لنفسها من نفسها !.. كانت تمتنع عن مقاربة زوجها ، وتفرّ من وجهه اذا شاء ملامستها .. كانت تروم ان تميت الشهوة ، وتسكت اللذة ، وتدفن الرغبة الى

الابد .. كانت تنطوي على نفسها لتشاهد كيف تتألم .. وكانت تطيب نفساً بهذا الألم ، وتعتبر انها منتصرة ، على نفسها .. كانت لا تني تجالد وتجاهد وتقاوم ، فاذا احسّت انها نجحت ، سكنت ثائرتها ، واذا شعرت بالاخفاق ، انفجرت تبكي ، وتذيل الدمع مدراراً .. وكان البكاء زعيما ان يؤاسيها ويعزّيها من الاخفاق !

ومرت سنوات أخرى كانت كافية لأن تشعر سامية بانها قد انتصرت أخيراً على جسدها . وراحت الزوجة تولي زوجها المريض الذي يلازم الفراش منذ سنوات بالغ عنايتها ، وتدرّ عليه من عطفها ما ينسيه عذاب المرض وهموم الشيخوخة .. وطفقت الام توجّه عناية فائقة بابنتها وداد التي بلغت التاسعة من العمر . وبدت عليها مخايل النجابة والذكاء ، وكانت مجلية في الدرس والتحصيل .. وكان الاب والابنة يتبادلان محبّة رقيقة عميقة ، فكان هو يضمّها الى صدره ، ويقول وإن دمعة لتترقرق في محجريه :

– حبيبتي وداد .. يا ذخر أيامي الباقية ..

وكانت هي تتلمس رأسه وجبينه ووجنتيه بقبلات صادقة .

وفي ليلة قارسة البرد ، قضى الاب نحبه ..

*

وبلغت وداد الخامسة عشرة من عمرها ، فكانت مظاهر انوثتها تكتمل رويداً رويداً .. واضحت تعنى بزينتها وتحرص على ان تظهر بمظهر جذّاب ، شأن جميع الفتيات . وكانت تملأ الدار فتنة وجذلا وحبوراً . ومما كان يزيد في هنائها انها كانت تشعر بحبّ عميق تبادلها اياه والدتها ، وانها كانت محاطة بالوانٍ من الرفاهية

لا تتمتع لِداتها في المدرسة بمثلها ..

وكان جسم وداد ينمو بسرعة ، وما لبث ان فاض على وجهها سحر وفتنة ، وزين صدرها نهدان فتيّان يطلاّن بتحدٍ على العالم الخارجي ، وطالت قامتها ، حتى كانت تجتذب انظار النساء قبل الرجال .

وظلت وداد تجدّ وتحصل ، حتى فازت بشهادة الكفاءة في السابعة عشرة من عمرها ..

وذات مساء ، كانت ترتدي منامتها لتأوي الى فراشها ، واذ بها تلحظ فجأة ان والدتها كانت تحدّق فيها النظر .. فارتعدت فرائصها ، وقالت تسائل والدتها :

ـ لماذا تنظرين اليّ هكذا ، يا اماه ؟

فاجابتها امها ، وهي تحاول ان تبتسم :

ـ اصبحت فتاة رائعة الجسد يا وداد .. لا بدّ ..

وتوقفت فجأة لا تتم .. ثم انفتلت خارجة من غرفة ابنتها تقول :

ـ نامي .. نامي .. ولا تفكّري بشيء !

وضحكت وداد ، ليلتذاك ، ملء فيها .. وبسذاجة !

وذات أصيل ، أقبلت امرأة مسنّة تخطب وداد إلى ابنها وتعرض بسبيل ذلك ثروة مغرية يملكها الابن ، وجاهاً عريضاً يتمتع به وشباباً غضاً لا يعدو الخامسة والعشرين .

وشاء القدر ان تتم الخطبة بسهولة ويُسر ..

واقبل الشاب يتعرّف الى خطيبته ، فاستقبل استقبالا حسناً ، وقابلته الام بترحاب ، والابنة بخجل واعجاب ...

وانشأ الفتى يتردد على خطيبته ، فتتوشج بينهما اواصر وثيقة من حبّ وودّ ، والام تبدي في ذلك كله سروراً ورضى ، حتى كان ذلك اليوم ..

كان سعيد في زيارة وداد قبل اسبوع من موعد العرس ؛ ودخلت الام عليهما فجأة في خلوتهما ، اذ كان يحتضنها ويقبلها في شفتيها ، فاذا بها تتوقف كالنمرة تحدّق فيهما لحظات ، وما تلبث ان تهجم على ابنتها وتأخذ في صفعها وهي ترغي وتزبد ..

ويمكث سعيد مبهوتاً مذعوراً ، وتنشأ وداد تبكي وتنشج ، وهي تحاول عبثاً ان تتفادى لطمات أمها . ولا يتمالك سعيد نفسه اذ يرى خطيبته هدفاً لصفعات شديدة ، فيسرع الى الوالدة وهو يبغي تهدئة سورتها ، فيروعه ان تنحيه عنها بقسوة وضراوة ، وما تلبث ان تأمره بالخروج متهدّدة اياه بقبضة يدها ..

ويخرج سعيد جزعاً يكاد ان يجنّ عقله !

وحين آوت الام إلى فراشها ذلك المساء ، دخلت وداد عليها الغرفة ، وفي عينها دمعات ، وفي صدرها اشفاق وخشية ، وحنت عليها تسألها بلهفة واضطراب :

– اماه .. لماذا فعلت ذلك ؟

فتنبهت الام مذعورة ، كأنما كانت في حلم ، ثم رفعت ذراعها في الهواء تشاء ان تمس وجه ابنتها بصفعة وهي تقول :

– اغربي عن وجهي ، والا ازهقت روحك ..

وتراجعت وداد مخذولة ، مرتعشة الكيان ، وجرجرت اذيالها إلى غرفتها ، وآوت الى فراشها ، وانها لتتلفت الى الباب جزعة ،

مترقبة ان تبدو امها ، بين لحظة وأخرى ، لتجهز عليها ..

بيد ان الام لم تظهر .. لأنها كانت في سريرها ، تستعيد في ذاكرتها صورته هو .. سعيد .. يضمّ اليه جسدها هي .. وداد .. ويقتطف من شفتيها الملتهبتين قبلة عميقة ..

وتستشعر « سامية » ارتعاشات لذة تسري في اعضائها ، فتبعث بها نشوة متجددة ، ولذة دائمة ..

لقد كانت سامية تحس ان الشهوة التي انامتها في اعماقها منذ سنوات عديدة ، تتيقظ شيئاً فشيئاً ، وان الرغبة التي حسبت انها اماتتها ، تبرز رويداً رويداً ، قوية ، مندفعة تبغي البرء والاشباع. أحست ان اعضاءها تتفتح للحياة من جديد ، وتتوفر فيها القوة والجدة والنشاط .. وسرعان ما شعرت بذلك الحرمان نفسه الذي كان لسنوات خلت يعذبها ويقضّ عليها المضجع ويرمضها .. واضحت واثقة من ان هذا الجسد ، جسدها ، مريض ، يفتقر إلى الشفاء ! كانت رغبة مجنونة ثائرة لم يكن سبيل الى كبتها او التعزّي منها بالبكاء والدموع .. كان نهماً اقوى من الضمير الحيّ !

انها لم يكن يسعها ان تتخيّل احداً يضمّ اليه جسد امرأة دون ان تشعر بالعذاب يهدّها هداً ، ويدفعها ابداً الى صرفه بالانتقام ..

وأعمتها شهوتها المتيقظة عن كل عاطفة انسانية أخرى .. قتلت في نفسها عاطفة الامومة والعطف والحنان .. فلم تكن وداد تبرز امام عينيها إلاّ جسداً مغرياً لامرأة يشتهيها الرجل !

*

حين نهضت الام في اليوم التالي ، بحثت عن ابنتها في البيت فلم

تجدها .. وجنّت ثائرتها ، فارتدت ثيابها على عجل وانطلقت الى بيت سعيد خطيب وداد .. واستقبلتها والدة سعيد على الباب بكل بشر واناس ، بيد انها سارعت الى الغرف تبحث عن فتاتها ، فألفتها بين ذراعي خطيبها تنتحب وتئن ، وهو يضمّها الى صدره ويقبّلها في جبينها محاولاً ان يؤآسيها .. ووقفت الأم كالبومة ، يتطاير من عينيها الشرر .. وما لبثت ان صاحت بسعيد :

– دعها .. ايها النذل .. لا تلمسها ، ايها الفاجر !

وتراجع سعيد متخاذلاً ، وحدثته نفسه ان يجابه الام ، بيد أنه آثر التريّث ، وإنه ليستجلي في نظراتها قوة ونفاذاً واستعداءً .. وهمّ ان يتلفظ بكلمات ، ولكنها كانت اسرع منه ، فاذا هي تنتزع ابنتها من بين ذراعيه ، مرغيةً ، مزبدة ، واذا هي تجرّها من يدها جرّاً بقوة لم تُعهد في النساء ، حتى بلغت بها الباب واستوقفت سيارة ، فدفعتها اليها دفعاً ، واستقلتاها الى البيت ..

واغلقت الام الابواب ، وانثنت الى ابنتها ، وقد تحولت قسمات وجهها الى سمات من القسوة والغيظ ، وراحت تحرّق الارض ، وتقول لابنتها في لهجة ساخرة :

– لن يتوصّل الى جسدك ، ايتها الفاجرة ، قبل ان يطويني الردى !

فعادت وداد الى الاجهاش .. ثم اذا بها تصمت فجأة ، وترمق أمها بنظرات شزراء وتقول بجسارة وتحدّ :

– بلى سوف يملك جسدي متى شئت وشاء ، فافعلي ما بدا لك !..

وأهوت الأم على رأس ابنتها بضربة من فرشاة التقطتها ،

كانت كافية لأن تكبّ الفتاة على الارض ، فاقدة الرشد ..

وقامت الخادم العجوز باسعاف وداد حتى استعادت حواسها .. وقالت لها بعد لحظات :

ـ لقد ارسلوا الآن خادمهم يقول : إن « سعيد » عدل عن الزواج منك ! ..

وابتسمت وداد ، بل ضحكت ، بل قهقهت ، وراحت تطوف البيت وهي تقهقه .. ثم اذا بها تنزع عنها ثيابها ، وتروح ترقص وتغني وتفتح نوافذ البيت ، يرتفع صوتها بالغناء والتصفير ..

*

حين عدت منذ اسبوعين الى داري في المساء ، بادرتني أمي تقول :

ـ لقد قذفت المجنونة اليوم بنفسها من الشرفة ، وهي عارية ، كما كنا نراها بين وقت وآخر ، ففُجّ رأسها وتحطمت ساقها وذراعها ، ونقلت الى المستشفى ..

وفي اليوم التالي ، انبئت بان الفتاة قد ماتت متأثرة بجراحها .. ومنذ يومين فقط ، خرجت الى الشرفة ، فنظرت عفواً الى نافذة تلك الدار ، فرأيت امامها رجلاً لم أره من قبل قط ..

نداء الأعماق

خرجت من لدنه "مسرعة" تحت الخطى ، وان قهقهات رعناء لتملأ اذنيها ، وان كلماته الاخيرة الثلاث لتتردد "مصدية" في مسمعها – « السبت ، الساعة الخامسة » .. بيد انها كانت معنية – على الرغم من تلك الرعشة التي تسري في كيانها – بان "تسدل دون ما حدث ستاراً كثيفاً .. انها لم تكن خائفة في تلك اللحظات ، ولم تكن لتشك في ان هذه اللقيا العابرة ، ليس من شأنها ان تمس ما نذرت له نفسها .. فان ذلك الشعور الممتلىء المطمئن الذي بات عقيدتها الراسخة ، ابعد مدى ، واعمق اثراً ، من ان تصيبه بسوء سحابة صيف عابرة .

وبلغت دارها ، وخرجت الى الشرفة ، فجلست تتأمل البحر الذي عايشها وعايشته ، وحبي حياتها وحبيت حياته ، منذ ان قضت والدتها ، وانها الان لتذكر كلمات امها المتقطعة ، في النزع الاخير ، ترسلها على جهد وضنى :

– « ليلى .. إن زينة الفتاة شرفها ، فحافظي على شرفك ، وقي جمالك من الوقوع في الشراك المنصوبة له .. انظري هذه الموجة المتسلسلة القادمة الينا .. اريدك ناصعة" طاهرة مثلها .. »

ولم يتقدّر لأمها ان تتلفظ بأكثر من ذلك .. بيد ان كلماتها ظلت حية في نفس ليلى كما لم تحي كلمة ، بل انها كانت تزداد تيقظاً

والتهاباً ، ما تتالت الايام . ووعتها ليلى اشد الوعي ، وتلك الجملة الاخيرة مكثت تلتهب في ذاكرتها كما تومض جمرة : « هذه الموجة ، اريدك ناصعة طاهرة مثلها .. »

واطالما كانت ليلى تجلس على الشرفة في كل ساعة من ساعات يومها ، تنظر الى البحر ، وان في عينيها لحباً وتقديساً وتهيباً ، وتتابع الامواج المتسلسلة على بُعد ، تنخفض وتعلو ، حتى اذا دنت ، التأمت أجزاؤها وتجمعت موجة مزبدة متدفقة ، ناصعة البياض تتناهى هادئة ، كأنها في حلم ، عند الصخرة الجبارة التي اقيمت عليها دارهم ..

وظلت ليلى تراقب هذه الموجة التي تمثلت بها امها ، حتى أصبحت بينهما وشيجة متينة من صداقة وود .. وانه ليخيل اليها ان أمها كانت تريد أن تواصل قولها : « اذكري دائماً هذه الموجة ، واحبيها يا ليلى .. احبيها فتكوني مثلها .. »

وعلى ذلك الشعور الساذج ، الذي يملأ فؤاد فتاة في الثامنة عشرة ، نشأ وعي ليلى بانوثتها ، وترعرع حسها بجمالها .. وكانت ـ ما قوي شعورها بهذه الانوثة وذلك الجمال ـ تجدد عزمها على ان تظل بريئة وادعة ، تعيش لطهرها وبراءتها ..

وراحت ليلى تقضي ايامها مطمئنة ناعمة البال ، تتمتع بحظ وافر من السعادة والرضى والنعيم ، وتوثق اواصر مودتها بزهور الحديقة ، واغاني الطير ، وأمواج البحر .. فتصيخ أبداً الى خريرها الناعم وتنعم بزرقتها الحالمة ، وتراقب هدوءها وسريانها المتمهل . وكانت تشعر بان البحر يبادلها مودتها وصداقتها ، فتجده دائماً حريصاً على ان يكون جميل المنظر ، هادىء الامواج ، حالم النظر ، يرسل

أمواجه الى الشاطيء كأنها تحيات لها .

*

كانت ليلى على الشرفة تستبعث هذه الذكريات ، وتستدعي تلك الصور ، حين احست نسمة باردة تنفذ الى جسدها ، فاذا هو يرتعش مقرورا .. ووضعت ليلى المعطف على كتفيها تلتمس الدفء ، ولكنها كانت تشعر بان جسدها يزداد ارتعاشاً .. وفجأة طفرت الى ذهنها حادثة اليوم .

هي لا تذكر إلا انها الفت نفسها في داره هو ، يوسف ..

وجدها تتنزه في الحديقة العامة ، فالقى عليها السلام ، فاذا هي ترده له .. وحين نظرت اليه ، عراها الاضطراب واحست ان في بصره المحدد اليها قوة جاذبة ، وفي بسمته المرتسمة على شفتيه فتنة ساحرة .. وحين كلمها اسرها بحديثه ، فاذا هي تطيب نفساً بمبادلته الحديث .. وكلمها عن نفسه وعمله .. وهي تستمع اليه بمودة وانتباه . ولكنه حين رغب ان تحدثه عن نفسها ، لاذت بالصمت ، كأنما كانت تخشى أن تطلعه على حياتها وعقيدتها .. وابتسم ازاء صمتها ، وغادرا الحديقة العامة ، واذ ذاك رجاها بان تستقل معه سيارته الفخمة الى داره ، لتناول فنجان من الشاي في هذا الجو الربيعي الرطب .. وشاءت ان ترفض ، أو تعتذر ، ولكنه فتح باب السيارة ، ودفعها الى داخلها برفق وهو يضحك .. وفي داره الفخمة ، اعدّ لها ، هو نفسه ، الشاي ، وتحدثا طويلا باشياء عادية بل تافهة احياناً .. ثم عاد يرجوها بقوله :

- « حدثيني من انت ايتها .. الجنية الحسناء » .

فبدا عليها سهوم وشرود وكادت تستغرق في ذكرياتها ، لولا انه ضحك واقترب منها يقول :

– « ليس يهمني ان تحدثيني عنك .. فانا اراك بملء عيني .. »

ثم مدّ ذراعه يحوط عنقها .. وشاءت ان تتخلص منه ، ولكنه جذبها اليه بشدة ، وقبلها في شفتيها .. فاذا هي تنهض مرتعشة ، تود الخروج ، واذا هو يسارع الى الاعتذار راجيا ان تصفح عنه .. وبعد لحظات صمت سألها :

– « هل اوحيت اليك كرها يا آنسة ؟.. »

فلم تجب .. وعاد يحدثها ، ولكنها بدت اكثر شروداً وأشد سهوما .. واخيراً تركها تخرج . ولكنها حين همت ان تهبط السلم ، نظر اليها نظرة بعيدة القرار ، ثم ضغط على ذراعها ، وقال بلهجة واثقة من نفسها :

– « ليلى انا بانتظارك يوم السبت ، الساعة الخامسة .. »

فاجابت وهي تجهد في التخلص منه ، وإن على وجهها لضيقاً وتململا :

– « لا .. لا .. دعني .. ولا تنتظر ان آتي ، فانني لن اراك بعد اليوم .. »

فلم يجد إلا ان يضحك ، فاذا هي تلتفت اليه بتضرع ، وتتمتم بخفوت مضطربة راعشة :

– إنس الذي مضى ، ومع انه كان تافهاً ، فسأستغفر ، وسأظل كما كنت وكما أود أن ابقى ...

*

كم كان ذلك سريعاً ! ان ليلى تكاد لا تصدق ان ذلك كله قد

حدث منذ حين ، وانها هي ، كانت فيه أحد الطرفين .. وضمت ليلى اطراف المعطف على كتفيها، تتقي البرد الذي اشتد ، وانحت نظرها الى البحر ، فاذا هي ترتجف ، واذا غصة تحرق حلقها ، واذا بها تحبس انفاسها لحظات .

لم يكن البحر ، كما تعودت ان تراه هادئاً ساكناً ، ازرق اللون ، هامس الصوت .. بل كان مصطخب الامواج ، كالحاً ، يرسل صوتاً غريباً تسمعه لأول مرة .. ويرعشها لأول مرة .. كان نداء خافتاً ترسله الاعماق ..

وحدقت ليلى ، فاذا هي ترى موجة كبيرة ، صاخبة متلاطمة الامواج ، تتكسر على الصخرة الجبارة ، بصوت ثاقب ، وتحمل في ثنايـاها أوشاباً وطفيليات وحشائش .. حشائش كثيرة مسودة اللون !..

ودخلت غرفتها مهتزة الجسد ، وآوت الى فراشها ، مذعورة .. جزعة ، وهوّم الكرى على جفنيها ، وهي تراه، هو يوسف ، يحوط عنقها بذراع حديدية جبارة ، ويطبع على شفتيها شفتين تلتهبان ناراً ورغبة وحنيناً ..

*

.. وعلى الرغم من انها ضلت الطريق ، وان الساعة قد اشرفت على الخامسة ، فانها لم تكن تحس اي اضطراب .. كانت على غاية من الهدوء، وكانت تسائل المارة بكل سكينة عن داره ، فتجاب بعلامة استفهام ترسم على الشفتين .. ومع ذلك ، لم تكن لتتردد .. كانت تسير بخطوة متزنة : انها ستبلغ الدار ، مهما بعدت ،

وسينتظرها ، هو ، مهما تأخرت . وكان في عينيها استسلام افضى اليه يأس مرير ، ومرارة يائسة .

واهتدت اخيراً الى الدار في الساعة الخامسة والنصف، ورقيت السلم بخطوة ثابتة ، وحين لقيها يوسف ارتمت على صدره .. وبينما كان يحاول ان يقتطف قبلة من عنقها الشهيّ البض ، وسعها ان تحدّر دمعة لم يرها، ولم تشأ هي ان يراها ..وحين استقر بهما المقام ، نظر اليها وفي عينيه بريق النصر ، وعلى شفتيه بسمة متكبرة .. واذا هي تغضي وتصرف نظرها عنه ..

كانت على أقوى اليقين ،بان عينيها تتضرعان أن يصمت ، وأن يسكت ، وألا يسألها عن شيء لن تطيق ان تجيب عليه .. وسمعته يضحك ، فانفرجت اساريرها .. ولكنه قال :

-لم تبرّي بوعدك يا ليلى .. فاني أراك قد اتيت .

فاذا طفرة من الدم تصبغ وجنتيها ، واذا هي تحس صدرها يخفق خفقاً شديداً حتى لتتهشم ضلوعها ؛ وشعرت انها تريد ان تثور ، وتخنق وتصرخ ، وتشتمه .. ولكنه كان قد اقترب منها ووسد رأسها ذراعه ..

وعادت الى دارها في الساعة التاسعة ، محطمة ..

ومكثت امام باب الشرفة زمناً طويلاً ، لا تنبس ولا تتحرك ، ثم فتحته بهدوء وخرجت تتأمل البحر ..

كان كما أرادت ، وكما خشيت ، ان يكون ..

وعلى الرغم من ان الليل كان قد هبط كثيفاً ، فانها كانت ترى كل شيء واضحاً جلياً .. كان البحر على غاية هياجه ، تعلو امواجه

جبالا شماء، وتنخفض اودية سحيقة . وكان لونه كالحاً أشد الكلحة، كأنما صبغ بلون جديد باهت .. وكان صوته رعداً كرعد السحاب الكثيف ، وزمجرة كزمجرة العاصفة الهوجاء ! انه نداء الاعماق.. كانت ليلى ترى في هيـــاجه دعوة حارة ، ونقرأ حنيناً شديداً في كلحته ، وتسمع في صوته نداء صارخاً ..

وفجأة ، طفرت الى ذهنها صورته هو ، يوسف ، وصورتها هي ، في غرفته ... فجأة عاودتها ذكريات ايامها السالفة ، وصورها الماضية ؛ ونظرت ليلى فاذا هي ترى الموجة تقبل عليهـــا صاخبة متلاطمة ، قوية جارفـــة ، تهدر هديراً عجيباً وتصل الى الصخرة الجبارة التي اقيمت عليها دارهم ، فتتكسر بجنون على الشاطيء ، واذا رشاشها يرتفع حتى ليلامس اقدامها ..

وعادت الموجة بعد لحظة ، أشد هياجاً ، وارفع صوتا وابهت لونا ..

واحست ليلى ان سمعها قد صمّ ، حتى لم تعد تسمع شيئاً ، بل أرهف حتى لتسمع كل نأمة حولها ، وشعرت بان عينيها قـد غشيتا حتى لا تريا شيئاً ، بل ازدادتا حدة ونفاذاً حتى لتريان ادق الاشياء .

وفجأة عراها الاضطراب ، فالتاثت احاسيسها ، واختلطت مشاعرها ، وتناثرت ذكرياتها ، وتمازجت بامواج البحر ..

إن هذا البحر المجنون ، لن يهدأ حتى تستجاب دعوته ، دعوة الموجة الجريح ، ولن يستقرّ حتى يلبّى نداؤه ، نـــداء الاعماق السحيقة ..

صِـدَاع

رأينا طيفها يتخايل من بعيـــد ، تسلك الطريق الذي نسلك باتجاه معاكس ، وإنّ في مشيتها لغنجةً عذبـــة ، تنطق بالسحر والدلال ، وإن جسدها ليتمايل على هون ، فتتجسم تقاطيعه سحراً واغراء .. وانظر الى « حسني » ، لابادله كلمة بتبادلهـا الشبان في مثل هذه المواقف ، فيها الكثير من الاعجاب .. ولكني المحـــه يُبرّق عينيه في ذلك الطيف بدنو ، حتى اذا تبيّنه على جلاء ، رأيته يمدّ يـــده الى ذراعي ، ويجتذبني بعصبيّة ظاهرة ، فيحوّلني عن السمت الذي كان سيجمعنا بها بعد لحظات ..

ويحثّ « حسني » خطوه ، فيُلحقني الى تقليده ، حـــتى بلغنا المنعطف الاول ، فاذا هو يُنحي اليها بصره ، ويتأملها ، وعـــلى وجهه مسحة من ضيق الى ان تغرب ..

وبعد لحظات ، كنت أصيخ اليه يحدّثني ، دون ان أعرب عن رغبتي في ذلك، فيقول :

« ذات أمسية من اماسي آب ، أقبـــل إليّ صديقي « نعيم »، يقترح ان نقضي ليلتنا هذه في مصيف « عاليـــه » القرية اللبنانية الفخمة . وحدّق نعيم في عينيّ يستجلي منهما اغوار نفس مَشوق ، تحنّ منذ أشهر ، الى تلك الدنيا الزاخرة بالعاطفة والشعور : دنيـا المرأة .. ولم يكن بوسعي ان أخفي ما بي ، فانا منـذ نلت شهادة

« البكالوريا » تخالجني ، على رعشة واضطراب ، مشاعر موّارة من رغبة وحنين .. كنت أتحرّق شوقاً الى معرفة المرأة .. وكانت عاطفتي تملك عليّ التفكير ، وتخلق في نفسي الواناً من ضنى الحرمان .. وتلك العاطفة المتحرّقة التي ظلت مكنونة ردحاً غير يسير ، وجدت في فوزي بالشهادة ، طفرة وانطلاقاً ، فبدت سماؤها تطلّ من عينيّ حنيناً مضطرماً ، يفطن اليها كل من اوتي بصراً .

كنت اريد ان اعرف المرأة ، تلك المرأة التي تُصفيك الودّ ، وتمحضك الاخلاص ، وتستجيب لشعورك البريء الفياض ، بشعور مثله ، او يفوقه براءة وفيضاً . كنت أشتهي ان اتعرف الى فتاة جميلة ، فارهة الحسن ، في عينيها منبع الطهر ، وطيّ جانحتيها مستودع الحب ، وملء وجودها معين الاخلاص .. تلك كانت الصورة التي تركّزت في ذهني للمرأة : النعيم الذي ينقص الرجل ، والحرارة التي يفتقر اليها في حياة كل رجل الامل ، والرجاء والغاية البعيدة المبتغاة ..

ولكن شيئاً كان يقفني دون هذه المرأة ، وهو الذي كان يدعوني الى الاحجام حين تيسر لي الاقدام ! ذلك هو الخشية ، بل الخوف من المرأة ! كنت أتصورها تيّاراً ثائراً عاصفاً لن يملك الاستمساك والمقاومة فيه ، الا الرجل القوي الذي مَهَر بالسباحة منذ أمد بعيد ! بيد ان هذا الخوف نفسه ، لم يكن ، ما تفاقم واشتد ، إلا ليزيد الرغبة تأرثاً ، والحنين التهاباً ، كان الخوف يدفعني الى التقرب من المرأة ، حين كان يحاول ان يبعدني عنها !! كانت المرأة خطراً ولكنه الخطر الذي يُغري !

وكان يلذّ لي أحياناً ، أن أتخيّلني ماثلاً امام المرأة ، فكنت اوقن في كل لحظة ، انني لن اكون إلا ضعيفاً ازاءها ، ضعيفاً الى ابعد حدود الضعف .. لن اجرؤ على ان اوجه اليها كلمة ، ولن أطيق ان انظر اليها نظرة ، خاليـــة كانت من المعنى ام لم تكن ، ولن يكون بمكنتي ان المس يدها ، بَلهَ جسدهـــا ! فالحق ان شيئاً آخر كان يرفد الخوف : ذلك هو خجل عميق نُسج في قلبي بخيط من الطهر ، بل من التقوى الموروثة .. اجل ! كنت أشتهي ان أعرف المرأة ، ولكن المرأة الحبيبة ، المخلصة الطاهرة ، تقاسمني العيش في دنيا هانئة بالاحلام الرفافة والاماني الغضرة !

قلت لنعيم على الفور :

– عاليه ؟ نقضي ليلتنا في احد فنادقها ؟ انها لفكرة !

وعلى الرغم من انها كانت فكرة جريئة ، فقد اطمأننت اليها ، وحلمت في أن أجد هناك ، في عاليه ، ما كنت اصبو اليه .. اليس من الممكن ان تجمعني الصدفة بها ، تلك التي تملأ فكري ؟

وبلغنا عاليه عنـــد الأصيل ، وجلسنا ننعم النظر في وفود الرائحين والغادين : جماعات من الشبان ، وأسراب من الفتيات ، او زرافات من الجنسين ، تملأ الجو جمـــالا وحبوراً وضحكات .. وشعرت بغصّة تحرّق حلقي : مـــاذا ؟ أأظل هكذا محروماً من عاطفة رقيقة ، تبادلني اياها احدى الفتيات الوادعات ؟

كنت احسُ فيضاً من الأسى يخيم على تفكيري ، وكابوساً من الغمّ والضيق يجثم على صدري ، حتى وجـدتني اتتبع بنظري كلّ طيف امرأة يلمّ بنا .. ورأيت عن بُعد فتاتين تقتربان من مجلسنا

في المقهى المشرف على الطريق .. ولست ادري لماذا شعرتُ ان نفحة من اطمئنان واشراق تتسرّب الى اعضائي ، مـــا ازدادت الفتاتان قرباً منا ..

وأصبحتا على قاب قوسين ، وبدت احداهما على غاية الجمال وفي ذروة الروعـــة ، وإذ حاذتنا ، قرأت في عينيها إشعاع الفتنة والطهر والبراءة . ولقد رأيتُ - اذ التفتتْ ففطنتْ الى اننـــا ننتبهها بانظارنا - دُفعتين من الدم تطفران عـلى خديها ، فتصبغها بحمرة قانية تنطق بالحياء والخجل والاحتشام .. وتابعت الفتاتان سيرهما ، وانا معلق النظر بهما ، وحين شارفتـا المنعطف ، انحتْ الفتاة الجميلة اليّ نظرة ناعمـــة ، نفذت مني الى الصميم .. ولكن سرعان ما احسست بالخوف ، خوف شديد يُرعشني .. ومع ذلك ، فقد رأيتني أتململ على مقعدي ، واذا بي أشعر بقوة خفيّة ، تدفعني الى النهوض ، وقـد استشعرت حافزاً عجيباً يدعوني الى اتباعها ، ومخاطبتها باية كلمة تُنصح لها عن بالغ اعجابي بها ..

واذن ، فقد نهضت ، وهممت ان أخطو ، فاذا بي اسمع نعيم ينهض ضاحكاً ويقول بصوت مرتفع :

- اهلاً وسهلاً ، آنسة نوال !

ونظرت : امرأة ممشوقة القوام ، رهيفة القدّ ، تسير على ثنٍ وغنج ، منسجمة التقاطيع ، جذابة القسمات ، تدنو منا وعلى شفتيها طيف ابتسامة متكبرة ، ولكنها مغرية .. بسمة بلغت من الاغراء مبلغاً سمّرني في مكاني لا احيد عنه .. بل اذا بي اتقدم ، انا نفسي ، فانحني امامها ، وادني لها الكرسي ، بكل احترام وإكبار .

– اقدّم لك الآنسة نوال ، الراقصة المبدعة !

– اقدم لكِ صديقي حسني !

*

كنت احسّني – احساساً عميقاً – كالغريب في جوّ هـذا المقهى الصاخب ، وكان ضيق يختلف شدةً ومدى يراودني بين آن وآن : لم يكن بودي ان ادلف الى هـذا المقهى ، لولا ان جذبني نعيم اليه جذباً ، ولولا انه وَعَدَ الراقصة نوال ان يشهد حفلتها وان يصحبني اليها. وبينا كنت جالساً اترقب ، على تململ وانقباض ان تُرفـع الستارة استعدت تلك اللحظات التي قضيتها على مقربة منها ، هي ، نوال !

كانت تضحك لكل كلمة يلفظها نعيم ، وكانت توجّه إليّ بين الحين والحين نظرات عميقـة ذات مغزى ، وتسائلني والبسمة تكسو ثغرها .. ولست أذكر إلاّ انني كنت في ذلك الحين ، بارد الشعور ، أكاد لا اتأثر بشيء ، معطّل التفكير ، لا تقرُ في ذهني أية صورة او معنى .. وانا الآن فقط أذكر انـني نسيت تلك الفتاة الجميلة ، التي هممت ان اتبعها ، حين قـدّم إليّ نعيم الراقصة .. ثم تبودلت كلمات ، ليس من شأنها ان تعني شيئاً ، او خيّـل إليّ ذلك ، ثم دَعَتْ الراقصة « نعيم » الى مشاهدة حفلتها في المساء ، فقبل بسرور بالغ ؛ واذ نهضتْ ، وضعتْ يداً حارّة على كتفي ، وقالت لنعيم :

– ولا تنسَ ان تصحب معك حسني ، صديقك هذا الخجول !

فانفجر نعيم ضاحكاً ، وابتسمتُ على مضض ، ورحنـا نتبعها

النظر تسير بتئنٍ وغنج !

ولم تمضِ لحظات ، حتى كنت أعرب لنعيم ، عن ضيقي ، وعن ذلك الانقباض ينشب أظافره في صدري . ورغبت اليه ان نعدل عن قضاء ليلتنا بعاليه ، ونقفل الى المدينة ، فاتهمني بالجنون ، وهزيء بي ، وحاول اقناعي بالبقاء ، مصوّراً لي الليلة التي سنقضيها في المقهى على اروع لوحةٍ من الرقص الفنيّ الباعث على الاعجاب ، والموسيقى التي تستنشي الحواسّ .. وصحبته الى فندق حيث استأجرنا غرفة للنوم نعود اليها بعد قضاء السهرة في المقهى القريب .

وهأنذا الآن هنا ، في المقهى ، اجيل الطرف حولي ، فاشاهد كثيراً من الرجال ، وكثيراً من النساء ، واري كؤوس الخمر على المناضد تتصاعد إليّ روائحها ، واسمع أحاديث الناس ، بين نافثٍ ومرذول وصراخ ، واصوات العرابيد تتناهى الى اذني كأكره ما تكون اصوات ! .. وما البث ان ارى نعيم قادماً يحمل بين يديه زجاجة خمر ، ويدعوني الى معاقرتها معه ! ما كان ابعده عما يمور في صدري من شعور !.. وما كان اجدرني ألا اصحبه الى هذا المكان الموبوء !

ورفعت الستارة ، وبرزت الراقصة ، فاستقبلت بعاصفة من التصفيق والاستحسان ، وراحت تنثر بسماتها وتتلقى الكلام المعسول ، ثم طفقت تدور بخيالة مزهوة على انغام الموسيقى ، وتبسط ذراعيها في الفضاء ، تلويها خفضاً وعلوّا ، تحت ذلك المنديل الحريري الأخضر .. ولا تلبث طويلاً حتى تَدَعَ المنديل يسقط ، فيظهر ذراعاها وعنقها عاريةً ، وترتفع الاصوات بآيات الاعجاب ..

ثم تنزع ثوباً كان يستر وسطها ، فتبرز ساقاها عاريتين ، تتلويان كالحية .. وانظر بانتفاض الى الجمهور حولي .. كانوا ينهبونهـا بانظارهم المتشوّقة المتحرّقة .. وكانت النساء يبسمن لها ، ويضحكن لجسدها العاري ! تالله ، كم من امرأة تودّ لو تعرى مثلها !!..

وراحت الراقصة تزال تهزّ وسطها ، فيهتزّ نهداها في صدريتها الحريرية ذات اليمين وذات اليسار ، ثم تدبر ، وتعرض ظهرهـا وساقيها ، والاصوات تزداد في ما حولها ارتفاعاً !

ثم تسرع الموسيقى في انغامها وتصخب ، فتسرع الراقصة في تثنيها ، وتهزّ كل عضو من اعضائها ، وهي مفترة الثغر .. ويزداد صخب الموسيقى .. واذا الراقصة كتلة من هياج والتهاب وحركات موّارة .

وأخفض رأسي وأطرق ... وقـد احسست باني سأنفجر غمّاً وضيقاً .. وفيما أنا في غمرتي تلك ، مزّقت مسمعي عاصفـة من الصياح والضحك والتصفير الثاقب .. وانحبت بصري ، فوقع على المسرح .. فاذا انا ارى صدر الراقصة عارياً .. كانت الصدارة التي تحفظ نهديها قد انفلتت عنهما ، فتهدّلا باسترخاء .. وكانت هي تحاول على مهل ، ان تعيدهما الى الصدارة وهي لا تني تبتسم .. والموسيقى تزداد صخباً ! ..

*

كنت في الطريق ارتعش ارتعاشاً ، وقـد قفّ شعري ، وتوترت أعصابي ، وانخذلت ركبتاي ، فاحسستني موشكاً على السقوط !

لم يكن يدور في خلدي ان تشوّه الصورة التي تَقِرُ في ذهني للمرأة هذا التشويه البالغ، ولم اكن اتصوّر ان تنالى تلك الفجوات فيها ، بهذه السرعة العظيمة، ولم يكن في طوقي ان اتخيل اشمئزازاً وازوراراً وكرهاً كهذا الذي احسّ به الآن تجاه المرأة .. لقد طعن الطهر في الصميم ، ولقد تبدّدت امنياتي البعيدة هباء ،وذهبت احلامي شعاعاً ،فاذا انا غارق في أعمق وادٍ من أودية اليأس والألم.. وليس في وسعي ان اخفي انني أحسست بتبكيت في الضمير، لم يلبث طويلا حتى حال الى ندم عميق .. ندمت ان استبيح لنفسي هذا الانطلاق الذي يكاد يودي بي، وذلك التحرر الذي ابتغيه دون ان اقدّر عاقبته ..

وعدت الى الفندق ، وجلست على شرفته في ظلام الليل ، وتتالت صور المقهى على عيني ، وعادت المناظر تترى : رجال .. نساء .. خمر .. صراخ .. تجديف .. رقص .. عري .. نهود .. لا استطيع ، ولا ادري .. كان رأسي بين يدي ثقيلا بهذه الرؤى يكاد ان ينفجر .. كنت اشعر انني لن احتمل بعد ، ولن اطيق ان انظر الى امرأة .. بلى .. بلى ، ولكن الى تلك الفتاة الوادعة الجميلة الهادئة ، التي لن تعرف يوماً غير الطهر والبراءة!

لبثت على الشرفة وقتاً طويلا ، لا اعرف ان اقدره بالدقائق والساعات .. كنت وحيداً ، وكنت احاول جاهداً ان استعيد في ذهني تلك اللوحة البريئة التي رسمتها مخيلتي لذلك الكائن الذي احنّ اليه .. وكان شعور الاطمئنان يعاودني ، ما تجلّت لي خطوط تلك اللوحة ، حتى رجع إليّ امني وهدوئي وطمأنينتي ،

ووثقت من ان الذي حدث لم يكن الا عرضاً زائلاً ، وغمامة صيف ما لبثت ان انقشعت ..

وقدّرت انني في موهن الليل ، وأن الساعة قد تجاوزت الثانية عشرة ، فنهضت الى الغرفة ، وقد عقدت النية على ان انام ليلتي بهدوء ، حتى اذا أصبحتُ باكراً ، استقللت السيارة الى المدينة وحدي دون انتظار نعيم .. كنت اريد ان انتقم منه !

وبينما كنت أفتح باب الغرفة لآوي الى الفراش ، سمعت صوت قدم يرنّ .. والتفتُ ، فرأيتها تقترب ، ولمحت بسمتها على ضوء الدار ، وسمعتها تقول بصوت ناعم :

— أهذه هي غرفتك يا .. حسني ! إن غرفتي الى جانبها .. يا لها صدفة غريبة ، ولكن اليست هي صدفة جميلة أيضاً ؟ .. وعلى فكرة ، حدّثني .. انك لم تقل لي كيف وجدت رقصي ؟ هل اعجبك ؟ تعال .. تعال حدثني !

قالتها كلها جملة واحدة ، تنثال الكلمات انثيالاً ، لا تنتظرني ان أجيب على اية منها .. ووضعت يدها على عاتقي ، ثم دخلت غرفتي وهي تجذبني من يدي .. وما لبثت ان استلقت على السرير وشبكت ذراعيها تحت رأسها ، ثم تنهّدت تنهّدة طويلة ، وقالت بصوت خفيض :

— لقد تعبت اليوم كثيراً .. وانا بحاجة الى راحة طويلة .. نعم ، ياسيد حسني .. لم تقل لي كيف وجدت رقصي ؟ أدنُ مني .. مالك ؟ أخائف أنت ؟ انني لا أخيف .. تعال .. تعال اجلس هنا بقربي !

ظلت مسمّراً في مكاني لا اريم ، وشعرت بموجات من الغيظ ، تتدافع الى صدري ، وأحسست ان جبيني يتقلّص ، وحاجبيّ يقطّبان ، وانني قد اوتيت من الشجاعة حظاً لم اكن أحلم به .. نعم .. لاول مرة شعرت بانني لست خائفاً امام هذه المرأة ، وان بوسعي ان اقاومها بكل يُسر .. ونظرت اليها أقول بلهجة هادئة :

- ايتها الآنسة .. لست من الذين تظنين .. ارجوك ان تخرجي من غرفتي في الحال ..

اطلقت ضحكة رنانة ، ثم اذا بها تنهض ، وتجذبني من ذراعي وهي تقول :

- اراك لم تعد خجولا يا حسني .. برافو .. هذا ما اريده !

وشعرت ان الغضب قد بلغ مني كنهه ، حتى كان يهزّني هزاً .. وحاولت ان اخلص يدي من يدها ، فلم استطع لأنها كانت تزداد في ضغطها اياها .. واذ ذاك اتجه لي عزمٌ سريعان ما نفذته ، فاذا انا اهوي على ذراعها ، أعضها باسناني عضاً شديداً .. فاذا بها تصرخ صرخة داوية ، الجأتني الى تركها ، وانا اوجس منها خيفة ، واخشى الفضيحة ..

ونظرت اليها مرتعشاً ، فاذا هي مغرقة في الضحك .. اجل .. كانت تضحك ، وكانت الغرفة تصدي بضحكاتها ... ثم اذا بها تقول :

- لقد اوجعتني يا .. حسني .. حسبتك لا تزال مبتدئاً .. انت حقاً قويّ !

وشعرت بلذّةٍ تقطر من اسناني .....

*

ونظرت الى « حسني » وانا ابتسم .. واستطلع هو في نظراتي ما يجول بفكري فبادر يقول بحماس :

– لا غرابة .. قل لي .. أنّى لمن يدفع هكذا من كتفيه دفعاً ، ويساق الى الجحيم سوقاً ، حتى يرى نارها المتأججة الحمراء ، ويسمع فحيحها الداوي .. أنّى لمثل هذا ان يُعمي عينيه ، ويُصمّ اذنيه ؟

ثم خفت صوت حسني ، وقال بلهجة ساهمة ، بعيدة القرار :

– « نعم .. هي التي اضلتني .. ولكنّ هذه المرأة .. لا احبها ولن احبّها ، لانها لا تخيفني .. اما تلك التي اخافتني ، والتي اشعر برعشةٍ كلما ألمّ طيفها بخاطري ، فهي التي احبّها من اعماقي ، وهي التي لن اقوى على نزع لوحتها البريئة من فكري ! .. »

ظامئات

كنت انا وحدي المخطوبة بين هاتة الفتيات النضرات .. وكن سبع عشرة طالبة ، تتراوح اعمارهن بين السادسة عشرة ، والتاسعة عشرة : زهرات عبقات بدأ الشذى يعطّر منهن الاجواء، وطفقت الانوثة الحالمـــة تتفتح في اجسامهن براعم غضة لشباب يستحير ، وتتيقظ في افئدتهن اماني ناعمة لسعادة ترتجى ..

وما كن ليدركن هـــذه الاماني وتلك الانوثة إلا شعوراً مضطرباً حائراً، يسري في الجسم رعشات خفيـة لذة ، ويتنفس في الأعماق تأوهات وتنهدات .. أتكون هـــذه غير خطوط عاجلة لرسوم فتيات بدأن يتحسسن الحياة ؟ !

اما أنا ، فكانت آمالي وصبواتي قد انتظم عقدهـا ، وسلكت سبيلها الى غاية واضحة، تجمعت في خطيبي « منير » الذي الفيت فيه الخطيب والحبيب المثالي .. فما كان لي ان احلم - اذا حلمت - إلا به ، ومـا كانت الصورة التي تملأ قلبي وفكري إلا صورته .. وكان منتهى رجائي ان تحثّ هذه السنة المدرسية خطاها نحو نهايتها، لأنال شهادتي المنتظرة ، فأزفّ الى منير ، ونعيش معاً في دفء الحياة الزوجية ، كما يعيش عصفوران هانئان في دفء عشهما اللذيذ..

وعلى الرغم من ان سعادتي المرجوّة كانت زعيمة بان تشغلني عن كل شيء ، وتحجبي في فؤادي حسّ الأثرة ، وتُضرم شعور

الانانية ، فانه لم يكن في طوقي ان اتجاهل هـــذه الحياة المرهفة الرقيقة التي تضرم حولي ، ولم اكن استطيع ان امحو هذه المظاهر التي كانت تتبدّى لعينيّ ، تتضح يوماً إثر يوم..اعني مظاهر الاهتمام لدى زميلاتي الطالبـــات بذلك الشاب الناضج الذي كن يَرينَه ويسمعن صوته مرة على الأقل كل يوم ، ذلك هو مدرس الادب العربي .

ومازلت امثل في نفسي واذكر الدرس الاول الذي القاه علينا الاستاذ « ناجي » . إن واحدة منا لم تكن لتجرؤ على ان تنبس بكلمة ، حين فرغ من القائه ، ثم جمع أوراقـــه وخرج ، ما تزال انظارنا معلقة به . وما لبثت الأعين ان تلاقت ، فاذا هي تغضي ، خشية ان تخونها النظرات في معانيها ! وكان طبيعياً ، وقد اغضت الابصار ، ألا تفتر شفتان عن كلمة ، أو تنغم بحرف . والحق ان الفتاة التي اعجبت بدرسه وتعليمه - وكلنا معجبات - كانت تخاف ان يتهمها أترابها ، اذا هي عبّرت عن رأيها ، بالميـــل والاعجاب العاطفي ، فتؤثر الصمت ، دفعاً لهذه التهمة تستهدف لها .

وكان الاستاذ « ناجي » شاباً ملء بردية الصبا الغض ، وطيّ جانحتيه الحميّا والنشاط . وكان فارع القامة ، ريان الوجه ، اشقر الشعر ، تزفّ على محيّاه ظلال الرضى والاطمئنان والفخر . وليس بوسعي ان انكر أنّ له صوتاً جميلاً هادئاً فيه غنّة ارستوقراطيـة ناعمة ، كثيراً ما حرّكت في قلوب زميـلاتي اوتار الاعجاب ، كما كنت ألمس ذلك من نظراتهنّ الفاترة الرانية اليه .. وكان خلافاً لمدرّسي الرياضيات والتاريخ ، لا يستطيع ان يظلّ جالساً أمـــام

منبره ، فهو لا يني يذرع غرفة الدرس جيئة وذهاباً ، فيكسب الجوّ حركة ويقظة ،ويثير تنبّه الطالبات حتى كنهه .. فلم يكن من عجب ان تلحظ الابصار تتابعه في الجيئة والذهاب ، وتساير جسمه في حركاته وسكناته جميعاً ! وليس من ريب في انّ درس الادب العربي ، كان لذيذاً بحدّ ذاته ، لأنه لا يستلزم جهداً فكرياً شديداً ، ولأن موسيقى الشعر الذي كان يقرأه علينا الاستاذ ناجي ، لشعراء قدامى ومحدثين ، كثيراً ما كانت تطربنا وتبعث فينا نشوة الحسّ ، يدغدغه الانسجام والتساوق .

وانقضى اسبوع، تزايد في خلاله اعجابنا بمقدرة مدرسنا الجديد، فاذا بنا نستسيغ الأدب العربي ونتذوّقه ، ونجتهد في مطالعته وتلقّنه ، لا سيما وانه مادة اساسية في مواد الامتحان النهائي .

وما لبثت طويلا ،حتى بدأت ادرك ان زميلاتي أخذن يشعرن بشيء غير التقدير والاحترام للاستاذ ناجي . وكانت دلائل هذا الشعور تظهر في اشكال شتى ، واضحة تارة ومستترة أخرى . فامّا صديقتي « نجاح » التي هي اوفر الطالبات جمالا وعذوبة ، فقد كانت تتأنّق في ملبسها وتجلو محاسنها في كثير من التفنن والتزين ، حتى لتصبح جديرة بان تجذب اليها انظار اشدّ الناس زهداً بالمرأة .. واما « عفاف » التي تنعم بحظٍ غير ضئيل من خفة الروح وانسجام القامة وروعة السمرة ، فقد كانت تظهر من الحرص والعناية والاهتمام بكتابة الفروض النظيفة المرتّبة ، اضعاف ما تظهره اية طالبة .. واما نادية ، فكنت كثيراً ما اراها تتملى من وجه الاستاذ ناجي ، وترقب حركاته ، وتتابع نظراته .. وتسألني عن « سامية »

اصغر الطالبات سناً ؟ إنها تظهر في المدة الأخيرة بمظهر الصموت ، ويندر ان تتكلم .. افيكون سهمٌ من سهامه قد اصاب فؤادها ؟ إلا « عايدة » فهي تبدو في دنيا غير هذه الدنيا ! ولعلّ التفسير المعقول لذلك ، انها ليست على جمال تتمناه اية فتاة من بنات حواء!

وانا ، انا المخطوبة ، كان يلذُ لي ان اراقب زميلاتي من برجي العاجي الذي لا تدركه إلا مؤثرات خطيبي « منير » ، فاخفي بسمة تودّ دوماً ان ترتسم على شفتي .. غير انني كنت اتساءل بلهجة اقتناع واقرار: « اليس ذلك الطيف هو الذي يراود مخيلة كل فتاة في مثل هذه السن ؟.. وانا ، لو لم اكن مخطوبة ؟.. »

ومع ذلك ، فقد كانت الرغبة تحدوني دائماً الى ان استغلّ موقفي ، فأحاول ان أفكّ عقال هذه الالسنة التي لجمتها الخشية .. وقد وجدت هذه الفرصة ذات يوم في بسمة تبادلتها « نجاح » مع الاستاذ ناجي ، وكنت اظن اني الوحيدة التي لاحظتها .. فما ان انتهى الدرس ، حتى بادرت صديقتي نجاح على مسمع من جميع الرفيقات بقولي :

ـ هنيئاً لك يا نجاح !.. لقد منحك « الأمير » أخيراً احدى هداياه !..

ففطنت نجاح الى قصدي ، واكتفت بضحكة مرنّة .. بيد انّ « ناهد » ما لبثت ان اجابت بخبث :

ـ تقصدين البسمة ؟ لا يا حبيبتي ، إنّ هذه الهدية كانت لـ « عفاف » ..

وفهمت انّ بودّ ناهد ان تقول « ان هذه الهدية كانت لي » ولكنها آثرت هذه المداورة !.. ذلك انها لم تعترض او تحتج ،

حين سارعت عفاف الى القول :

– بل هي لك ، كما لاحظت !

وتركتهنّ في ما هنّ فيه ، وخرجت من غرفة الدرس ، وإن نادية لتهمّ بالكلام .. عجبـــاً لقلوبهنّ الصغيرة !! أتكون بسمة واحدة ، ارجح انها لم تكن تحوي اي معنى مقصود ، موضع نزاع مستحكم كهذا النزاع ؟

بيد انني لم أستطع ان اقنع نفسي بان الاستاذ ناجي بريء من كل شيء .. فلا ريب عندي في ان هذا الجمال المنثور البكر ، قد انتهى اخيراً بان يؤثر فيه . وهذا هو التعليل الوحيد للبهجة والحبور والجذل التي يبديها في هذه الايام الاخيرة .. فهو يشيع في غرفـــة الدرس جواً من الغبطة والمرح ، وإن كان لا يقصّر في اداء الدرس على وجهه الأكمل .. والحق ان درس الادب العربي قد اصبح آثر الدروس وأحبّها لدى زميلاتي ، وهنّ يترقبنه ترقباً .. او قـــل يترقبن مدرّسه !

وأياً ما كان ، فقد القى الاستاذ ناجي عن كتفيه تلك الرصانة والاحتراس اللذين ابداهما عند مجيئه ، فاذا هو يتحدث حديثـــاً طلقاً في كل أمر يعرض له خارج حـدود الدرس ، فهو يتكلم عن الادباء الفرنسيين الذين يحبهم كروسو ولامارتين ودي موسيه ، وعن الروايات التي اعجب بها حين كان لا يزال على مقاعد الدرس ، منذ سنوات . وقد كان هذا التنويع والاستطراد يقعان من نفوس اترابي موقعاً رضياً ، لأنهنّ كنّ يجدن بهما متعة وتسلية .. ولكن حديث الاستاذ كان يتطرّق احياناً الى غـــير الأدب ، فيتناول

القضايا الاجتماعية العامة بالبحث والتحليل.. غير ان الموضوع الذي أثار تنبّه الرفيقات ، وحرّك مشاعرهنّ ، وأرعش افئدتهنّ ، هو هذا الحديث الذي تناوله معلم العربية عن « الزواج » ..

اني لأذكر ان معظم وجوه زميلاتي قد كسيت عند ذاك بحمرة الخجل ، ثم تبودلت النظرات ، وتبعتهـــا بسمات مكتومة أطلق الاستاذ ناجي عقالها بابتسامة عريضة ثم قال :

– انني ادرك جيداً ان هذا الموضوع يهمكنّ ! ..

ثم أطلق ضحكة شاركته فيها الزميلات ، فزال من صدورهن الخوف الذي كان يراودها ! ومضى يتحدث عن هذه « المشكلة الاجتماعية » كما سماهـــا ، ويعبّر عن رأيه في انواع الزواج : فهو ينكر اشد الانكار « زواج المصلحة » ، وهو يهزأ بالمال ان يكون سبيل السعادة في الزواج ، ويرى ان تقارب المستوى الفكري بين الزوجين وسيلة هامة للهناءة الزوجية ، واستدلى بمثل على ذلك بقوله:

– فانا مثلاً لن اتزوج فتاة نالت فقط الشهادة الابتدائية ..

ثم ضحك هنيهة .. ولست اغالي اذا قلت إن تنبّه زميلاتي كان قد بلغ اذ ذاك غايته ، بل لقد حسبت انـني اسمع خفقات قلوبهن تتناهى حتى اذني .. واستطرد الاستاذ يقول :

– يجب ان تبلغ زوجتي المستوى الذي بلغتهانتن مثلا !..

واسارع الى الاعتراف بانني لن انجح في تصوير الحالة النفسية التي كانت فيها كل رفيقة من رفيقاتي ، حين القى المعلم هذه الجملة ! لقد بدت على وجه « سامية » جميع تخايل الاضطراب والارتباك ، فهي تبدّل جلستها كل لحظة ، وتنقل كتابها من مكان الى آخر ،

وتفتح محفظتها ثم تغلقها .. اما « نجاح » فقد غمرت وجهها بكلتا يديها ، حتى اذا رفعتهما عنه ، كانت الحمرة التي تصبغه كحمرة الشفق القانية .. واما « ناهد » فقد تهلل وجهها اشراقاً وراحت تخفي في ثنايا ضحكتها الطويلة كل ما يعتلج في صدرها من شعور الحنين والرغبة !

في تلك اللحظة ، لم يعد يراودني اي شك في ان اعجاب رفيقاتي قد تحول الى حبّ عميق لهذا الشاب الجميل القوي الذي يملأ نفوسهن وقلوبهن ، ولم ارتَبْ لحظة في ان كل واحدة منهن اعتقدت بثقة وايمان انها هي المقصودة في كلام الاستاذ ، وانها ستكون .. زوجته العتيدة ! والحق ان زميلاتي رحن يتبادلن — بعد انتهاء الدرس — نظرات يردْنها ان تكون مسالمة صديقة ، فاذا هي تخونهن وتنكشف عن الاستعداء والحسد .. لقد كانت عفاف تستمع الى كلام نجاح بشيء غير قليل من الاستخفاف والتكبر ، وكانت ناهد ترمق سامية بنظرة شزراء فيها الاحتقار والكره ! .. إلا انا ، فقد كنتُ محور البسمات الصادقة والود الخالص ، فانهن لم يكن يجدن فيّ منافسة ! ..

ولم يمض اسبوعان آخران حتى لمست ظاهرتين جديدتين : اولاهما تغيّب سامية عن الحضور لمرضٍ ألمّ بها ، ولم اشك في انه « مرض الحبّ » ! .. والثانية ان نجاح وعفاف وناهد ونادية ، قد تقاربت ميولهنّ ، فاذا بالودّ يحل محلّ الحسد ، واذا بالصداقة توشّج بينهنّ الاواصر .. ولم اعجب لهذه الظاهرة ، فان العواطف المتماثلة والأهداف المبتغاة ، تجتمع كلها على صعيد واحد ، مهما

تباينت الوسائل .. ولاحظت كذلك ان فارستين جديدتين ظهرتا في الميدان ، هما نعمت وراجية ، اللتان لا يفترق ظل احداهما عن ظلّ الاخرى .. ولكن الغريب في الأمر ، ان هؤلاء الفتيات اصبحن اكثر استعداداً واقرب مشاركة في التحدث عن الاستاذ ناجي ، غير انّ حديثهنّ كان ينحصر في انتقاده وتوجيه الملاحظات عنه ، فاذا قالت عفاف إنه مفرط في الطول ، اجابت راجية إنه لا يعنى بملابسه ولا يتأنق ، وتابعت نادية بانه مغرور أحياناً ، ويفتقر الى التواضع ..وسائل مصطنعة جمة لاخفاء العاطفة الحقيقية ، والتفريج عن النفس التي ارهقها التمادي في الأمل والاسترسال في الترجي !

وفجأة ، ذات يوم ، سرى بين صفوف الطالبات نبأ هزهنّ جميعاً : لقد عقد الاستاذ ناجي خطبته على فتاة مثقفة تخرّجت من مدرسة « ... »

وسارعت استطلع تأثير النبأ في وجوه زميلاتي المسكينات .. فاذا هنّ هادئات ، يكظمن - على جهد - شعور الخيبة والأسى والحرمان ، بيد انه وسعني ان ادرك من نظراتهن ان الحقد والغيظ والحنق تفيض من نفوسهن ..

*

وكانت مقاعد نجاح وناهد ونادية وعفاف خالية في اليوم التالي حين بدأت الدروس .. اما نعمت وراجية ، فقد ظلتا في غرفة الدرس تقرءان كتاباً لم استطع ان اعرف عنوانه ..

وكان تغيّب هؤلاء الفتيات كافياً لأن يحدث الاضطراب في

غرفة الدرس ، بل في المدرسة كلها ، اذ ما كاد الخبر يبلغ مسامع المديرة حتى أرسلت تسأل عن سبب تغيب الفتيات في بيوتهن..

ولم تمض ساعة ، حتى قدمت المدرسة امهات نجاح وناهد ونادية وعفاف ، فخلت بهنّ المديرة في مكتبها ردحاً من الزمن .

وفي اليوم التالي ، عادت الفتيات المتغيبات الى المدرسة ، ولكن الاستاذ ناجي لم يَعُدْ ..

راحة الضمير

كانت الدار التي نزلناها ذلك الصيف في قرية « بوارج » الهادئة، واقعة على كثيب مرتفع، ويتسنى للمرء منها ان يستقصي بنظره حدود سهل « البقاع » كلها . وكان يلذني ايما لذة ان اتبوأ كرسي الطويل لاجيل طرفي في مفاتن هذا السهل الواسع الذي ينتظم بقعاً مختلفة الالوان ، تسر العين وتمتعها ، ولا ينقصها اثارة من الروعة والجمال .

وكنت اوثر الوحدة والانعزال ، لما فطرت عليه من ملازمة غرفتي منذ نعومة اظفاري ، وكانت مفاتن الطبيعة في « بوارج » تحدوني الى التأمل فكلفت بالقراءة والمطالعة وكنت ، اذا شرعت طيور الدوح تصدح ، اصطحب كتابي الى شجرة غيناء تُرى من شرفة دارنا ، ويرى الذي يتفيأ ظلالها الوارفة عيناً قريبة يتردد سكان القرية اليها لينزحوا من مائها .. ولقد ارتضيت ذلك المتفيأ متنسكاً اهيم فيه ما حلا لي بين حفيف الورق ونغمة النسائم ، وتهويد الطيور السعيدة ..

وتوجهت ذات يوم الى متفيأي في رأد الضحى ، وما كدت ابلغه ، حتى المتبني فتاة قروية ، تنطق بسمة ثغرها بناعم الامل وينم بريق عينها عن مرهف العاطفة ، وتشف لفتة جيدها عن ساحر الجمال ، فصرفني مرآها عن استئناف التلاوة ، ورحت اتبعها نظري

حتى بلغت العين ، وما هي الا لحظة ملأت فيها قربتها حتى عادت يشيع المرح على وجهها الريان . ولما بصرت بي،غاضت بسمتها وقالت تحييني بصوت خافت:« صباح الخير » فرددت عليها السلام وترقبتها حتى غربت عن ناظري .. وعدت أتابع المطالعة من غير أن أفهم شيئاً.

والمت الفتاة بي في اليوم التالي ، فاغضت ببصرها اذ لمحتني ، ولم تحيني .. ولكني لحظت ان الخد قد احمر منها خفراً .. وعلى هذا الحال مرت ايام تسعة، لم يكن البدع فيها الا ان الفتاة كانت تحاول – اذ تلمحني وتحمر وجنتها – ان تنطق بشيء لعله طرح السلام ، فلا تجرؤ على ذلك او لا تستطيع .. وهذا الشعور الجديد الذي اخاله يرف في مقلتيها شغل بالي ، فصح عزمي على ان انقطع عن النزول الى متفيأي.. ولكن.. الفيتني في اليوم التالي تحت الشجرة كأنما انتظر احداً من الناس .. وعادت القروية الحسناء بعد ان ملأت قربتها.. وأحسست قبل ان تحاذيني، انني عطش وان اللهاث يشتد بي .. وبشيء من الاضطراب رغبت الى القروية ان تسقيني من قربتها .. ولمحتها ترتبك اذ لم تجد ما تسقيني به ، فاذا انا أبسط كفي ثم اضمها ، واذا هي تميل قربتها فينحدر الماء على كفي خصراً صافياً .. وكل ما لحظته ساعتئذ ، ان كفيها كانتا ترتعشان وهي تصب لي الماء .. وشكرتها ، فردت لي الشكر ببسمة ساحرة .

واذ عدت الى داري في نار الظهيرة، استشعرت لوناً من الضيق يمازج هدوئي .. وكان طبيعياً ان يجدد الوجدان عزم الانقطاع عن ارتياد المتفيأ.. وكان عزماً حازماً أيده الاعتقاد بان من يغرض

الى السعادة انما هو بالغها ،اذا حاول ان يبعد أي همّ من ان يعروه، ويقضي على اي يأس من ان يتملكه .. وبلغ من حبي لهذا الرأي « انما السعادة في هدوء البال »، ان اتخذته عقيدة فكرية محالٌ عليّ نقضها .. وغلب الفكر على الشعور .. فتبوأت في اليوم التالي كرسيّ الطويل على الشرفة الوارفة . وبعد هنيهة لمحت القروية مارة تلحظ اليها ، ثم حين لم تلف أحداً ، اخذت تجيل الطرف حولها حائرة متوزعة الفكر .. وكذلك انقضت بضعة أيام وانا ملازم كرسي على الشرفة ،وهي على هذه الحال من الحيرة والاضطراب. ولمحتها ذات يوم تعطف على الشجرة وتستنيم الى ظلها الوارف، كأنها تستجم .. ثم انفتلت عائدة من حيث اتت لم تملأ قربتها كأنها ضلت الطريق أو سهت انها تحمل قربة .

وعلمت ان والدتي تشتكي قلة الماء في الدار، وترجوني ان ابحث عمن يزودها منه على قدر حاجتها. وبحثت طويلاً فلم اهتد الى احد ولم أجد بداً من النزول الى متفيأي انتظر ان تمر القروية الحسناء علها تقبل طلبنا .. وكنت اعلم ان في ذلك ايذاء لي، ولكن لحاجة امي اكرهتني على قبول هذا الاذى .. ولبثت انتظر الفتاة فلم تمر .. ثم ترقبتها في اليوم التالي فلم تظهر ، فرجمت ان قد يكون تقاعدها عن غشيان العين شغل .. ولكن ثلاثة ايام مرت بعد ، ولم تلم بالمتفيأ . وعزمت على ان اتربص يوماً آخر، ان لم تظهر لي فيه اضطررت الى ان أحمل الماء بنفسي الى دارنا ، كي اخفف من ضيق أمي وغضبها ..

وهذا هو اليوم السادس يكاد كله ينصرم .. وهأنذا أعود الى

داري وقد داخلني بعض الانشراح وآثرت ان اتحمل هـذا الجهد على ان اتحمل ذاك .. واني لفي منتصف الطريق، اذ ابصرتها آتية مطرقة ، ثم رفعت بصرهـــا فرأتني .. وتسنى لي ان الاحظ انها محزونة . وفجأة رأيتها تعزم على المضيّ ، فلم أدر أيّ شعور عراني فاوقفتها ، وحدقت في وجهها أريد أن اتكلم فلا يتأتى لي ذلك .. سمعتها تقول بنبرة حادة دون ان تنحي اليّ بصرها :

– ماذا تبغي مني .. دعني .. من انت .. انا لا اعرفك .. !

..وكان ضيق شديد يختلف عليّ ، فيشقق صدري الخافق الملح .. وكذلك لم ادر كيف تقدر لي ان اسارع بالقول في نغم مستطيل :

– اوه .. انا اعرفك .. اعرفك .. يا ..

ارتج عليّ فلم اتم . ولكنني لاحظت ان وجهها يوشك ان يتهلل ورنوت اليه فاخذت فتنته بمجامع فؤادي .. انه رائع فيه حسن وفيـــه سحر ، وما كان يكون هكذا رائعاً ، لولاان مخايل الالم وسيماء الاسى وطلائع المرض ، قد رسمت على تقاطيعه رسماً .. مؤلماً . ثم رأيتها تسبل اشفارها الهدب ، فلم ادر ماذا تروم .. ولكنني سارعت الى القول في صوت خافت :

– يا .. ان دارنا مفتقرة الى المياه ، فهل ترضين ان تزوديها ببعض ماء العين ؟ فرفعت اليّ عينين حالمتين ، وأرتني منها نظرتين ساهمتين فيهما بث وشكوى .. وتصنعت انني لم افطن ، واستعجلتها الجواب ، فقالت بصوت هامس صحبته تنهيدة طويلة :

– نعم .. يا معلمي .. نعم يا سيدي .

وانثنيت قافلا الى البيت ، وعند المنعطف ، لحظت اليها فالفيتها

حيث هي لا تريم ولا تمضي ..وسرعان ما عزمت على ألا استلين لتذلل قلبها ، فاكبح من جماح عاطفتي،واحدّ من حنين روحي ، وكنت اثق ثقة لا يخالطهـــا شك ،ان ليس في غير ذلك ابقاء للسعادة التي ارمقها واحاول جهدي أن احتفظ بها ..

وحين افقت في صباح اليوم التالي،وخرجت الى الشرفة ما لبث ان طلع عليّ طيف يحمل قربة على رأسه..انها هي..« مياسة »..ويا له من قوام ممشوق يتخطر في دل، ويتماوج في فتنة..

اذ ذاك فحسب ، صحّ عزمي على ألا اظهر لهـــا ، ما دمنا في « بوارج » ، ولعـــل لي في هذا العزم تحرزاً من الطاعة للاغراء ، ولعل للفتاة فيه كذلك دافعاً للانصراف عني .

وكان مما هيأ لهذا العزم الجو الصالح ، هـذا الكتاب الذي وردني من صديق لي ، يستنزلني فيه الى داره في مصيفه الجميـــل « كيفون » .. وما زلت اذكر انني رأيت في منعطف قريتنا الاول – بعـــد ان استقلت السيارة قاصداً قرية صديقي – يداً بيضاء كانت تلوح لي بمنديل أخضر .. ونظرت من نافـذة السيارة الخلفية ، فاتيح لي ان ارى تلك اليـد البيضاء تهوي بذلك المنديل على العينين..

زجيت لدى صديقي في « كيفون » تسعة أيام ، اخـــال ان حلاوتها ترجع الى انني ابتعدت ردحاً من الزمن ، عمن يحاول ان يشغل بالي..وحينٌ قفلت الى « بوارج » ، بشرتني أمي بوجه ممشوق. ثم علمت منها انها عادت تشتكي قـــلة الماء لان القروية « مياسة » قد انقطعت عن المجيء منذ ان غبت، فسرني النبأ وقلت في نفسي :

لقد نسيتُ .

ونهضت في اليوم التالي باكراً ، فقصدت الجبل ولم أرجع الى داري إلا عند الاصيل.. وحين ولجت الدار التمست أمي فلم اجدها ورجحت انها لدى احدى الجارات ، ولكنني حين توجهت نحو غرفتي تطرق الى سمعي نحيب شجيّ فاندفعت ظانا ان قد مس أمي سوء ، ودخلت الغرفة على عجل .. وما راعني إلا ان المحها هي .. « مياسة » جالسة على كرسي دانٍ من سريري ، حانية رأسها فوق قربتها التي وضعتها على ركبتها ، تنشج وتنتحب .. وقادتني قدماي على رغم مني اليها .. وهأنذا أرى شعرها الاشقر الذهبي متموجاً رائعاً . واذ لامست بكفي عاتقها ، تنبهت مذعورة ، ثم انتصبت واقفة ونظرت اليّ غاضبة ، وقالت بلهجة حازمة حادة :

— ماذا تبغي مني .. دعني .. من انت .. انا لا اعرفك ..

ولكنها ما كادت تفرغ من النطق بهذه الجملة حتى سكنت رائعتها فجأة ، واتسعت حدقتاها ثم انحت عني بصرها ثم عادت فحدقت فيّ نزلة أخرى .. وفجأة انقلبت اسارير وجهها ، فارتمت على الكرسي تقول بنحب هادىء :

— : آه .. حلمي .. سيدي .. معلمي !

نطقت ساعتئذ على غير شعور مني باسمها ، وسألتها ما بها فلم تجب ، فجلست على حافة سريري عن كثب منها واعدت سؤالي . واذ ذاك رفعت اليّ عينين ارمضها بكاء لا ينقطع ، ثم التفتت الى النافذة واعادت ذكر اسمي بتنهيدة طويلة .. ومدت كفها فاخذت كفي ، ولم استطع ان اقاوم رغبتها فاغضيت ببصري الى الارض وان

يدي لتحترق بنار يدها.. وتكلمت « مياسة » واعلمتني انها لم تستطع على بعدي صبراً . وانها لازمت فراشها طوال غيبتي .. واذ ذاك غلبها البكاء ورأيتها تحني رأسها فوق وسادتي، ثم تمرغ خديها بغطائها الرفيق فتبلله.. وكان الشعور العميق يتكاثف علي بالحيرة والاضطراب والتردد حين سمعتها تقول :

– حلمي .. حبيبي ..

وتقدمت منها فجأة، فرفعت رأسها عن وسادتي، وطوقت كتفيها بذراعي ولم احسّ الا ان شفتي تتلمّسان شفتيها ..

ونهضت اريد الخروج ، فتعلقت بذراعي وقالت بلهجة تشف عن الامل العريض :

– يا حلمي .. يا معلمي .. اتأخذوني خادمة في داركم .. أنزل معكم الى بيروت ؟

فلم ازد عن وعدها خيراً ، وخرجت من الدار يسوقني شعور مبهم حائر .. وحين قطعت من الطريق شوطاً بعيداً، توقفت فجأة وقد عراني غضب شديد ، قد يكون غضباً على نفسي .. انا الذي يروم ان يعيش هادىء البال .. وتملكني الاسف على ما بدر مني ، وعلى ما تعجلته نحو الفتاة من الوعد والرضى ..

وافضيت الى والدتي ليلتذاك ، برغبتي في تعجيل هبوطنا الى بيروت ، وعللت ذلك بانني لم أصب في هذا الجبل أي حظ من السعادة والسرور فوافقت على رغبتي ، قائلة انها هي الاخرى لم تجد في القرية مبتغاها..

غير انني لم ارتض بعد ان اصدم القروية بالنبأ ، لانني كنت اوقن ان سيكون لذلك اثر غير محمود العاقبة ، فكنت احادثها من

غير تطويل . ولكنها مع ذلك كانت تقبل طروباً ، يشيع الجذل في محياها البسام .

وتعجّلنا العودة ، فاستغرق الاستعداد والتهيؤ اياماً ثلاثة ، حاولت فيها جهدي الا اظهر للقروية وجهاً لوجه حتى لا تحرجني أكثر مما فعلت في سؤالي عما وعدتها فيه خيراً .. وكانت هي الاخرى لا تتوق بعدُ ان تسألني ..

وأشرقت شمس اليوم الرابع ، وان هدوئي ليرجع اليّ رويداً رويداً . وانهمكنا في نقل المتاع الى السيارة التي استقدمناها باكراً لنقلنا الى بيروت . وعجبت ان لم ابصر « بمياسة » تساعدنا على نقل المتاع . ولكن صدري كان منشرحاً ، ورجوت ان يكون سها عن بالها انه اليوم الموعود . وحملني فرح شديد اذ فرغنا من نقل المتاع ولم تَبْدُ « مياسة » فاستعجلت السائق بالمضي ، وانطلقت السيارة تشق طريق القرية ، واذ ذاك فحسب ، شعرت بان الكابوس الذي يرزح تحته صدري يسقط عني ..

وبلغت السيارة منعطف القرية الاولى .. فاذا بي اراها هي .. مياسة .. منتصبة بقامتها الفارعة الممشوقة باسمة عن ثغرها الجميل مرتدية أجمل ثيابها ، متجملة متزينة .. كانت على جمال لم أحلم به يوماً ...

وأشارت بيدها تستوقف السائق ، فاذا بوجنتيّ تحمران من الخجل ، ولم اتماسك ان اهبت بالسائق الا يلتفت ولا يلوي عليها .. فتابعت السيارة سيرها ولكن على رود ..

وهدأت نفسي وسكنت رائعتي .. وملت الى النافذة الخلفية

اود ان اودع القروية باشارة من يدي .. ورأيت بسمتها تغيض .. ومرعان ما كز وجهها ، ولكنها مع ذلك ما انفكت تتبع السيارة نظرها ، وفجأة فحتها ترفع ذيل ردائها الفضاض ، كأنها تتأهب للحاق بنا .. وعدت قليلاً .. فرجع الي غضبي وصحت بالسائق ان اسرع .. وما ان رأت السيارة معجلة ، حتى اسبلت ذيل ردائها ، وتوقفت لحظة وقد اتسعت حدقتاها ، ثم عدت مرة أخرى ، ووقفت على شفا هاوية على جانب الطريق الايسر ، ورفعت ذراعيها .. وتشوفت بنظري ، فلم ارَ احـــداً ..

عراني دوار شديد ، فارتميت على المقعد منهوكاً ، وكدت أفقد رشدي ، فصحت فجأة بالسائق ان يقف ، وانطلقت اعدو مجنوناً غير واعٍ ، حتى اذا بلغت الشفا ، رميت بنظري في القرار فاذا بي أرى جسداً فتياً ناهداً .. يتخبط ..

واستطعت ان الج على مقربة من الرأس صخراً صغيراً بـــدأ الدم يسيل عليه .. وهبطت المنحدر مهتز الكيان ، حتى اذا بلغت القرار ، سارعت احتضن رأس « مياسة » المجروح ، وتناولت منديلي اكفكف به الدم السائل على رأسها .

وفي تلك اللحظة فحسب ، ارتضت العين ان تستعبر بدمعـــة واحدة .. ولكنها دمعة لا يزال حرها يلهب جفني ويحرق اشفاري ..

بيد انني منذ ذلك الحين الى ساعتي هذه لم انقطع عن التساؤل : — اليست الرغبة في الابقاء على هدوء البال ، هي التي بعثت بكل هذا الهم الى البال ، وبكل هذا الشجو الى الضمير ؟ ..

هي وكلبها

لم يكن نبيل يتوقع ان يلتقي به رابضاً على الباب الخارجي ، حين قدم يزور خطيبته « سلوى .. » في بيتها لاول مرة . فاذا به يتوقف لحظات ، وهو يُحسّ ان ليس بوسعه ان يتصنّع الشجاعة والاقدام .. فقد بعث مرأى هذا الكلب الكبير ، الذي ينزع في الشبه الى ذئب كاسر ، خشيةً في نفسه ، ورعشة خفيفة في جسمه ..

وقد شاء نبيل ان يتجاهل وجود هـذا الكلب ، ويتكلّف اللامبالاة ، لولا انّ عينين واسعتين فيهما تحدّ واستعداء استوقفتاه على فَرَق وفزع .. وظلّ الشاب حيث هو واقفاً لا يريم ، وغمرته الحيرة والتردّد : أيتقدّم فيقتحم الباب غير مكترث لما عساها تكون العاقبة ، أم يتقهقر فيقفل راجعاً الى داره ، مُنشئاً أجل الزيارة الى وقت آخر ، لا يكون هذا الكلب اللعين رابضاً فيه على الباب ، كأنه مكلّف بحراسته ؟

ولكن « سلوى .. » تنتظره ، وقد تُعلّل تخلّفه عن زيارتها ، اذا قرّر العودة ، على غير ما يُحبّ .. وخطر لنبيل ان ينادي خطيبته لتحرّره من هذا المأزق الحرج الذي لم يتنبأ به ، ولم يتخذ له الحيطة والحذر .. ولكن ، ألا يعرّض نفسه لضحكها بل وسخريتها اذا عمد الى هذه الوسيلة ؟ !

واخيراً ، ازمع ان يتقدّم ، على غير هيبة أو وجل ، ولكنه

ما كاد يرفع قدمه ليخطو بهـــا خطوته ، حتى رأى ذلك الكلب المخيف ينهض متحفزاً ، ويبدأ في الهمهمة .. فلم يجد إلا ان يعيد قدمه حيث كانت منـــذ لحظات ، وقد شعر بقشعريرة تسري في كيانه ، ثم تلبّث ردحاً وصاح :

– سلوى .. سوسو ..

فما راعه إلا ان يكون جواب الكلب نباحاً شديداً ملأ الجوّ اصداء ، ثم هـــدأ هنيهة ، كأنه يتهيأ للهجوم اذا فكّر ثانية في النداء . .

وأسقط في يد نبيل ، وانفتل على مهل في طريق العودة ، ولكنه سرعان ما سمع صوتها هي « سلوى ..» تناديه ، فالتفت لفّت الدار ، فاذا هي على النافذة تومىء له بيدها ، وتدعوه الى الدخول ، فاكتفى بان أشار الى الكلب إشارة اوشك معهـــا ان يسقط الى الارض متخاذلا .. ورأى خطيبته تستغرق في الضحك ثم تنادي كلبهـــا بالفرنسية :

– تعال .. لولو .. تعال !

واذ ذاك فقط ، استعاد نبيل قواه ، فدخل الحديقة بخطى ثابتة مطمئنة .. وحين حاذى خطيبته على مقربة من الباب ، صوّب الى الكلب القابع امام قدميهـا نظرة تكبّر واستعلاء .. وضحكت سلوى ، ثم اغلقت الباب وادخلته غرفة الاستقبال .

بادرت الفتاة خطيبها وهي تضحك :

– لقد تأخرت عن موعدك ربع ساعة !

فاجابها نبيل على الفور :

– قضيتها امام الباب الخارجي يا آنستي الفاضلة !

– ولماذا ؟

– كنت اتفرج على كلبك اللطيف .. ما اسمه ؟. « لولو » واداعبـــه .. !

فضحكت سلوى ثم اجابته بهدوء :

– الواقع ان « لولو » كلب على غاية اللطف والظرف .. لقد قضى بصحبتي خمسة اعوام ، فمنذ ان وُلد أحببتـه وأحبني ، وهو لا يكاد يطمئن الى سواي .. وما من شكّ في انه سيركن اليك ويحبّك بعد حين ، اذ يعتاد عليك ..

– لا .. يا حبيبتي .. ليكتفِ بحبك انت ، بالله عليك !

– الواقع انني اعتبره الصديق الوحيد الامين ..

ثم استدركت ، وهي تلحظ الى خطيبها بسحر ودلال :

– بَعْدَك طبعاً !

وما لبثت ان نهضت ، فغادرت غرفة الاستقبال بخفة ، ثم سمع نبيل صوتها يلفظ برقة وعذوبة :

– لولو .. تعال .. تعال يا عزيزي !

فضرب الشاب كفـاً على كفّ ، وعراه الارتباك الشديد ، حتى انه فكر بان يختفي تحت أحد هذه المقاعد الطويلة !..

*

ولكنّ الحبّ لم يحلّ بين نبيل ولولو كما تنبأت سلوى ، وظلت العلاقات بينهما سيئة . غير ان لولو كان يسمح لنبيل بان يدخل حديقة الدار ، دون ان يستقبله بما استقبله به في اول زيارة له من

النباح والتحدّي والتهيؤ للهجوم . وكان من البديه ان يفقد نبيل بعض خوفه وخشيته من الكلب الكبير ، ولكنه كان يحاذره دائماً ويحتاط له ، ويمنعه من الدنو منه ولو تودّداً ! غير ان الذي كان يزعجه ، ان خطيبته سلوى كانت تولي كلبها قسطاً كبيراً من العناية ، فتطعمه بيدها ، وتزيل ما يعلق بجسمه من اوشاب ، وتحوطه باوفر نصيب من التدليل والعطف .. وكانت كثيراً ما تحتضنه وتنشأ تداعبه ، وتلامس شعره الأشقر الطويل وتربّت على ظهره ورأسه بحنان . وقد رأى الشاب خطيبته تدعو كلبها غير مرّة لأن يغطس في الحوض الذي يتوسط حديقة الدار ، وسرعان ما يقذف « لولو » بنفسه في الماء ، ويأخذ في السباحة ، فيطوف الحوض عدة طوفات جذلاً محبوراً ، حتى اذا أشارت له بايماءة خفيفة ، قفز من الحوض ، ولبث لحظات ينفض عن جلده الماء ، وما يعتم ان يدنو من سلوى فيجثو امامها .. اما هي ، فتبتسم ابتسامة الادلال ، كأنما تفخر بان يكون هذا الكلب طوع بنانها ، ثم تنحني ، فتمرّ كفّها على ظهره المبتلّ ، وتقبّل رأسه بمرح ..

ولم يكن نبيل ليظهر غير الرضى ، ومكث لا يبدي أية اشارة ، أو يتلفظ باية كلمة قد تنمّ عن سخطه وتبرّمه بـ « لولو » هذا ، وبما تحبوه به خطيبته من ودّ وعطف وحب .. حتى كان ذلك اليوم !

فقد خرج نبيل وسلوى ذات اصيل مشرق في نزهة هادئة ، الى ضاحية المدينة مشياً على الاقدام ، ورغبت سلوى في ان يصطحبا لولو معهما ، فلم يمانع نبيل . ولاحظ الشاب حين أخذا في المسير ان لولو كان يمشي بمحاذاة خطيبته ، خلافاً لجميع الكلاب التي تتقدّم

اصحابها بالعادة ، بل إن لولو كان يرود حول سلوى في شبه دائرة ، كأنما يخشى ان يدنو منها احد .. وحين ابدى الشاب ملاحظته هذه للفتاة ، لم يجد فيها ما يدعو الى الاستغراب ، فاذا بـــه يزداد سخطاً وعصبية ..

وشعرت سلوى بعد حين بتعب من طول المسير ، فجلست على صخرة ملساء ، كانت تقوم الى جانب الطريق ، ودنا لولو فقبع عن كثب من قدميها . واقترب نبيل بعد لحظات ، فاتخذ له مجلساً على مقربة من خطيبته ، وأنشأ يحدثها ويستمع اليها .. وتنبه ذات لحظة الى لولو ، فراعته منه نظرات محدّدة اليه .. وشعر لاول مرة ان في عيني هذا الكلب المخيف معاني تجول ، لئن كان لا يتوصل الى استكناه غورها ، انه يحسها احساساً شديداً .. كان في عينيه مثل التحذير والتهديد والكراهية ..

وشاء ان يتجاهل هذه النظرات المحدّدة ، فاقبل على خطيبتـــه يضمها اليه بعد ان أمن خلو الطريق من السابلة ، ولكنـــه سرعان ما رأى لولو يغادر مكانه ، ثم يجثم قبالته غير بعيد ، لا يكاد يصرف عنه بصره .. وقال الشاب :

– اشعر يا سلوى ان لولو يغار عليك مني .. انظري اليـــه كيف يتربص بي ..

فأطلقت سلوى ضحكة رنانة دون ان تهتم بالنظر الى لولو ، ثم أحاطت عنق نبيل بذراعيها وهي تتمتم بشغف :

– انني لك وحدك يا نبيل فطب نفساً واطمئن ..

وركن الشاب الى تلك الغمرة الدافئة ، وضغط بذراعيـــه

القويتين جسم سلوى الريان ، مقرباً فمها الى فمه .. وكادت الشفاه تلتصق ، حين روّع الخطيبان بنباح لولو الشديد ، فافترقا مذعورين .. ولم يكد الشاب ينظر ، حتى رأى الكلب يهجم عليه بوحشية وسعار .. وكانت هذه المرة الاولى التي تشاهد سلوى فيها كلبها بهذا المنظر المرعب ، فخشيت إن هي تعرضت لتحول بينه وبين خطيبها أن تنالها منه اذية ، فلم تجد إلا ان تردّد اسمه بصراخ ثاقب إذ رأته يتشبث بثوب نبيل يحاول ان يمزقه وهو يهمهم بانـدفاع وهياج .. وما هي إلا لحظات ، حتى تراجع لولو ، ثم هدأ واستكان ، فأخفض رأسه ، وسار الى سلوى بخطوة وئيدة ، متجمع الجسم ، مطرق البصر ، ثم قبع وأنشأ يمرّغ رأسه بقدميها ..

ومدّت سلوى كفها تمسح به ظهر لولو ، وهي تنظر الى نبيل ، مروّع البصر ، مذعور الفؤاد ..

*

ولم تجد سلوى بداً من النزول عند رغبة نبيل بابعاد « لولو » عن الدار بعد تلك الحادثة ، وبعد ان رأته يثير سخط خطيبها كلما زارها ، فأمرت خادمها بان يقوده الى ضاحية بعيدة من ضواحي المدينة ، فيضيعه في ارجائها ..

وجلست في اليوم التالي الى نافذتها حزينة على فراق كلبها الذي عايشها طوال خمسة اعوام ، ولكنها هبت فجأة بعد لحظات ، حين رأت لولو يدخل حديقة الدار منهوك القوى ، شديد اللهاث .. وسرعان ما أحست بالدمعة تطفر الى خدها ، فهرعت اليه واحتضنته بلوعة وأسى ، وأنشأت تمسح ظهره ورأسه وتشبعه لثماً وتقبيلا ،

تكاد في كل لحظة تنخرط بالبكاء ..

وآلت بومذاك على نفسها أن تولي كلبها اضعاف ما كانت توليه من عطف ومحبة ، وان تقنع خطيبها بالاّ يلح في إبعاده ، بعد أن اظهر هذه الامانة وهذا التعلق الشديد . وسُرت الفتاة بالغ السرور إذ رأت لولو يتودد الى نبيل ، ويستقبله في كل زيارة له بالاطراق والصمت .. ولم يجد الشاب إلا ان يغضي ويصرف اهتمامه عن «لولو» .

ولكنّ سلوى افاقت ذات صباح على صوت نبيل مختلطاً بنباح لولو .. وحين اطلت من نافذتها على الحديقة ، رأت لولو هاجماً على نبيل ، منتصباً على رجليه الخلفيتين ، متشبثاً بثوب الشاب ، يحاول ان يمزّقه ، ثم اذا به يهبط فيأخذ في عضّ رجل نبيل ، وهـذا يدافع عن نفسه بكل ما يملك من قوى ، فيركل الكلب بقدميه ، ويدفعه عنه بيديه مقبوضتين ..

وحين خرجت سلوى مضطربة جزعة ، شاهدت الدم يسيل من جرح عميق في ذراع نبيل ، وألفت جوانب من سترته ممزّقة .. وما لبثت ان رأت خطيبها يتراجع ويكاد يسقط خائراً ، فشعرت بموجات من الغضب الشديد والحنق البالغ تتدافع في صدرها ، فاذا هي تتناول هراوة غليظة كانت ملقاة غير بعيد ، وتأخذ تنهال بها ضرباً على رأس لولو وظهره .. ثم تتوقف فجأة اذ ترى كلبها يتجمّع على نفسه ، ويزحف زحفاً بطيئاً حتى يداني قدميها ، فيخفض رأسه حتى يتلوث فمه بالتراب ..

وتنفتل سلوى ، فتمسك بذراع خطيبها ، وتدخل به الدار لتمسح جراحاته وتضمدها ..

وما يلبثان ان يخرجا ، فيبحثا بانظارهما عن لولو ، فلا يرياه .. ويهبطان الحديقة ، ويتطلعان فاذا بهما يلفيان لولو غارقاً في جوف الحوض ..

وترتمي سلوى منتحبة باكية بين ذراعي نبيل ، فيأخذ خطيبها يجفف دموعها بشفتيه .. ثم يراها تهمّ بالكلام ، فيسارع الى اسكاتها بقبلة حالمة ، شعر بانها القبلة الاولى التي يقتطفها من شفتي خطيبته ، هادىء البال ، مطمئن النفس ، قرير العين !..

تفتح وردة

نهضت سامية من سريرها ذلك النهار تحسّ الرضى وتستشعر الفرح ، ولكنهما كانا رضى وفرحاً ينتهيان بغير ما ينتهي به رضى الناس وفرحهم . ذلك انهما كانا يربوان حتى يستحيلا الى حنين عميق ، وينموان فاذا هما شوق مضطرم ..

ولكن ايّ حنين ذاك ، وشوق إلامَ هذا الشوق ؟ ذلك ما لم تكن سامية لتدريه ، وإن كان صدرها يعلو ويهبط خافقاً لشدّة الاحساس به وقوة الشعور بمقداره ومداه .. أيكون حلماً قد داعب امانيها وآمالها هذه الليلة فحسر لها عما لم تظهر عليه مرة واحدة في اليقظة ، وحقق لفؤادها صبوةً ما كانت لتتحقق له في دنيا وعيه ؟ ولكن ، إن كان ذلك هو الواقع ، فهل يلزم منه هذا الشعور الراهن بالفرح والرضى ، وقد تلاشى ذلك الحلم ؟ ..

إن هذا الشعور قد خلق في حقيقة الأمر شوقاً الى شيء بدّع لم تتذوّقه بعد ، الى شيء تودّه وتروومه من كل جوارحها ، وإن كانت لا تفلح في تعرّف سرّه وبلوغ كنهه .. فهو قد يكون ساورها من قبل ولم يَعِهِ وجدانها ، او قد يكون وعاه ثم كبته ، ولكنه اليوم ، بل في هذه الساعة اشدّ ما يكون شبوباً وحيوية .

ونفذ بصر سامية من النافذة ، فاذا السماء صافية صفاءً يقرب من الشفافية ، واذا الرياض بهيجة بهجةً تُخيّل اليها انها تحول الى

غناء عذب وشدو رقيق ، واذا الناس يغدون ويروحون بنشاط واندفاع ، كأنما سلخوا عمراً طويلا في الركود والهجوع ، فاقبلوا الآن يستنفدون نشاطهم في السير والتريّض .

وطفرت سامية بخفة من سريرها ، فاذا هي امام المرآة .. ونظرت ، فرأت او خيّل اليها انها ترى رسماً مشرقاً لم تعهده من قبل : رأت ذلك الجسد الملتفّ الممشوق تتاوج عليه ثنايا تلك المنامة الحريرية الصفراء ، فتجسّده فتنة وسحراً واغراءً .. واحسّت تلك الارتعاشات تتجاوب فيه على احاسيس رقيقة مرهفة تلمّ به ، كأنها موجات متتالية من الكهرباء .. كانت اقباساً ملتهبة من نار جسدٍ بدأت حيويته تتيقظ بعد طويل استغراق في همود المراهقة ..

وانفرجت ذراعا سامية فتثنّتا ، وتمطّى جسدها الريان مستغرقاً في تنهّدة طويلة ، حارة ، صعّدتها الاعماق بلهفة وحنين . ثم اشتبكت ذراعاها ، فاذا كفّاها تلامسان الصدر ، واذا بها تحسّ احساساً جديداً راودها لاول مرة ، فلذّ لها ان تلدّع كفيها ردحاً من الزمن على الصدر الناهد ، تنعمان بدفئه وتنتشيان بحرارته ..

ثم تنبهت سامية بعد غفلة خالت انها اسبلت في اثنائها جفنيها ، وتناولت إصبع الأحمر ، فصبغت به شفتيها بعناية واتقان ، ثم تراجعت خطوة ، وحنت رأسها ، فلم تجد إلا ان تبتسم .. وخطر لها اذ ذاك ان تشبّه شفتيها بكمّي وردة تتفتح اجفانها للنور .. وودّت لو ان نحلة تقع على تلك الوردة ، او على ذينك الكمّين ، فتمتصّ نداهما وتشور عسلهما بلذّة ونهم ! ..

وعادت سامية تتشوّف وتتزيّن ، ولم تحسّ رغبة في تناول شيء من طعام الصباح الخفيف ، واجتزأت بفنجان القهوة والحليب ، ثم مكثت حيناً على تردد وحيرة .. واضطراب ، لا تدري ما الذي ينبغي عليها ان تعمل . وحسبت انها تشبع رغبتها إذا خرجت للتنزّه والتفرّج ، فجاست وقتاً طويلاً خلال الحدائق والطرق ، ولكنها كانت ترى الرجال والشبان مسرعين الى شؤونهم واعمالهم يكادون لا يولونها احد نظراتهم .. ثم اتجه لذهنها ان تزور اصدقاءها وصديقاتها ، ولكنها عادت الى دارها اشدّ شوقاً واعنف رغبة واكثف شعوراً بالفراغ .. لقد بشّرها « صادق .. » بآيات التعجّب والدهشة ان تزوره في ساعة لم تعتدْ ان تزوره فيها ، فلم تلبث طويلاً حتى غادرت داره وإنها لتكن له موجدة وحقداً .. و« سالم » ؟ كم كان فاتراً في استقبالها ، وكم اظهر من الملل والتبرم في محادثتها .. وكذلك كان من امر راغب وعصمت .. لقد خيّل اليها ان هؤلاء الشبان ، بل جميع الشبان جبلوا بالجفاء والخشونة والتصلّب جبلاً ، وجرّدوا من معاني العطف والرقة !

واما صديقاتها ، فقد الفت اكثرهن ينظر اليها نظرة اشفاق وعطف ، بل ورثاء .. ولمست انهنّ جميعاً كنّ دونها في الحيوية ، واضعف منها عاطفة وحساسية . لقد شعرت اذ ألمّت بصديقتها « عفّت » بانها جمرة ملتهبة مفعمة بالشعور العارم ، ازاء قطعة من الفحم لا حسّ فيها ولا شعور .. وايقنت انها أرشق جسداً وأرهف عاطفة ، واروع جمالاً من ليلى ونوال ..

كانت سامية تجيل هذا كله في فكرها وقلبها حين حاذت دارها

في طريق العودة . ولكنها سرعان ما توقفت فجأة في وسط السلم واذا بها تنفتل فتهبطه بسرعة ، وتأخذ في السير المجدّ ، كأنما تخشى ان تعاودها الرغبة في دخول الدار !

وقادتها خطواتها ، فجازت منعطفين دون ان تعي تماماً ماتفعله ، ثم قطعت شارعاً طويلاً ، وحين ألمّت بمنعرجه ، رفعت بصرها فوقعت عيناها على لوحة :

« الدكتور سامح .. »

فاذا بفيض من شعور الاطمئنان والرضى يغمر ارجاء نفسها ، فتبدو على وجهها مخايل الانشراح وسمات السرور ، وعادت السلّم بخفّة ورشاقة ، وإن تلك الارتعاشات الهادئة لتبتعث فيها النشوة طاغية مفعمة ..

وتوقفت لحظات في قاعة الانتظار قبل ان تطرق الباب وتساءلت :

« ولكن ما الذي اشكوه حتى ازور الدكتور سامح ، أو اية شكوى ادّعي ؟ » وما لبثت ان ابتسمت ، ثم تقدمت بخطى متهادية ، فطرقت باب العيادة ، فاذا بالدكتور سامح يستقبلها ببشاشته المعهودة ويرغب اليها ان تجلس ، ثم توجّه الى مكتبه يُنهي بعض اعماله العاجلة .. ولفت ذات لحظة في سامية فرآها تنزع عنها معطفها برعدة خفيفة ، فبادرها بقوله مبتسما :

- ولكن .. يحسن يا آنسة سامية ان تحدّثيني قبلُ عما تشكين ، فقد لا يكون حاجة بخلع المعطف ؟ !

فاذا هي تجيب بسرعة ، كأنما كانت قد أعدّت جوابها :

– كيف لا يكون لي حاجة بخلع المعطف ؟ انني احسّ بانّ صدري .. ينطبق عـــلى اضلعي حتى ليهشمها .. ضيق شديد في صدري .. يا دكتور !

وكانت تنطق هـــذه الكلمات بحيوية ظاهرة ، وحين نهض الدكتور متوجهاً اليها بغية فحصها ، رآهـــا تسارع الى الكرسي الطبي الطويل في زاوية الغرفة ، فتتمدّد عليـــه وتشرع في حلّ ازرار ثوبها عند صدرها ..

وأخذه عجب بالغ جعله في حيرة من امرها .. لقد كانت سامية تزوره قبل الآن فلا تُبدي مثل هـــذا التعجّل ، حتى اذا عمّت بالذهاب ، ودّعته ببسمة خجلة ونظرة خفرة ! ولكنـــه الآن يراها منهمكة في حلّ الازرار ، حتى ليخيّل اليـــه انها تودّ ان تنزع كل ما يستر جسدها .. لا لشيء إلا لتعرى !..

– ولكن .. على رِسْلك يا آنسة ..

لم يكن يملك ان يقول غيرها ، فهو بعد في حيرة العجب والدهشة .. وسمعها تغمغم :

– ولكن .. يا دكتور .. لا طاقة لي بعدُ على تحمّل هـــذا الضيق الشديد ..

وكانت قد فرغت من حل الازرار كلها ، حين أخذت تحسر عن صدرها على رود ، دون ان ترفع الى الطبيب نظرها . ولم يجـــد الدكتور سامح إلا ان يتناول « السماعة » ويسير الى الفتاة وعلى وجهه سيماء التبرّم .. ووسعه ان يمدّ يده فيردّ طرفي الثوب لدى الصدر بلا مبالاة ظاهرة ، ثم يتناول معصم الفتـــاة يجسّ النبض

وبعد خفقاته على ساعته .. ولاحظ انها تزلقه ببصر حديد ، فلم يأبه لها ، ثم رفع السماعة الى اذنيه ، وقد وضع طرفها الآخر على صدرها ثم عاد فردّ طرفي الثوب . وطلب اليها ان تستنشق الهواء ملء رئتيها ثم تفرغه في تنفس طويل ، فاذا هي تسبل جفنيها . ويتتالى شهيقها وزفيرها على عجل وسرعة .. واحسّ بيدها تمتدّ رويداً رويداً الى يده التي تمسك طرف السماعة على صدرها وتدفعها بحركة تشنّجية .. ولبث لحظات ، ثم رفع يده بالسماعة عن صدرها وقال بخشونة :

لا... لا شيء في الصدر . انما انت تتوهمين .

ففتحت عينيها على مهل ، وحدّقت فيه ، ثم قالت بلهجة غاضبة :

ـ تقول .. لا شيء في الصدر؟ ولكن .. ادنُ مني يا دكتور!

فلم يرم من مكانه ، فاذا بها تستوي قليلاً ، فتجذبه من ذراعه وتتشبث بيده ثم تضغطها على نهدها الأيسر ، وتعود فترتمي على الكرسي وهي تقول في انفاس متلاحقة مغمغمة :

ـ هنا .. هنا الألم .. يا دكتور !

واستمر ضغط يدها يشتد بيده على صدرها ، ثم امرّتها عدة مرات عليه وهي تتمتم :

ـ أجل .. هنا يا دكتور سامح .. هنا يا سامح !

وسرعان ما نزع الدكتور يده بعصبية غاضبة ، ثم انشأ يحدّق فيها بنظر يتطاير منه الشرر ، وتراجع خطوتين نحو مكتبه ، وهو ما يزال محدّداً نظره بها ، وقال بجفاء :

ـ انهضي ايتها الآنسة .. ما إليّ كان ينبغي ان تأتي .. اما انا

فلستُ إلا طبيباً .. وطبيباً شريفاً !

ونظر ، فاذا صفرة تكسو وجهها ، فتذيب ذلك الاحمرار الذي كان يصبغ وجنتيها منذ حين ، واذا عينـاها تغيبان فما تدوران في محجريها . وفهم الدكتور سامح ، اذ فتحت فاها بان الشعور الذي يدفعها للكلام انما هو شعور المجرم يتمسك بأهداب كلمات قليلة لا يملك غيرها للدفاع عن نفسه :

– ولكن .. يا دكتور .. إن صدري يؤلمني ألماً شديداً !

فاجاب الطبيب دون ان ينحي اليها بصره :

– كلا .. ايتها الآنسة .. انت لا تشكين الماً ، وانما ..

ولم يتمّ ، وخشيت هي ان يتمّ جملتـه .. وشعرت بكابوس ثقيل ينزاح عن عاتقها اذ كفّ عن متابعة الكلام ، وامتدت كفها وجعلت تزرّر ثوبها بتأنّ وحرص ، وقد جمعت كلتا يديها عليه كأنما تخشى ان يظهر منه شيء ..

ونهضت على مهل ، فتناولت معطفهـا وخرجت دون ان تلوي على شيء بعد ان اغلقت باب غرفته ، كأنّ اغلاق هـذا الباب اصبح كلّ همها الآن ! وسارت خطوات في قاعة الانتظار يجول في فكرها سؤال معذّب :

– ماذا .. إنه يعلم ما اشكو .. فلماذا ؟ ..

وتابعت اعماقها الحديث : « حقاً .. انه صخر .. صخر أصمّ ! »

وخيّل اليهـا ان كل ما في هذه الغرفة يردّد معهـا هاتين الكلمتين .. حتى هذا الجدار .. كل صخرة من صخوره الصمّاء .. وما علمت ، اذ هبطت السلم ، انّ الدكتور سامح كان يرقبها

من نافذته ، فيراها تخرج ، عن غير احساس منها ، إصبع الأحمر ، فتأخذ تحفّ به شفتيها بعنف وقسوة واندفاع ، كأنما هي مزمعة على ان تذوّبه عليهما تذويباً .

فأشفق الدكتور سامح ان يُدمي الشعور العارم شفتيها تينك: كميّ وردة تتفتح اجفانها للنور ..

تذكار ثورة

كانت على أحرّ من الجمر ، تتنقل بين غرف الدار ، بخطى مضطربة ، حائرة ، خطى محموم تثقل عليه وطأة الحمى ، فما يدري الذي ينبغي عليه ان يفعل ليخفف من شدتها .. ثم تخرج إلى الشرفة وتحدق في المنعطف البعيد تترقب ان يبدو طيفه .. هو ابنها ، بل ان يبدو ايّ طيف آخر .. فما اقسى هذا المنعطف الذي لا يدفع من جوفه احداً ! ..

وتعود تقول لزوجها في لهجة نشيج : ان بالي مشغول عليه .. واخشى ان يكون قد أصابه شيء . ان البلدة على اضطراب وغليان ، وقد نصحته الا يخرج فأبى ..

ويجيبها زوجها في سكون :

ـ هدئي من روعك ، فلن يلبث طويلاً حتى يعود ..

وحين خرجت للمرة العشرين الى الشرفة لمحت في المنعطف البعيد جمعا من الناس يتقدم بخطىً وئيدة ..

وخفق صدرها خفقاً شديدا . وخالجها شعور خشية واشفاق ، وراودت فكرها صورة أبت ان تطمئن اليها .. وتمتمت شفتاها :

ـ لا .. لا سمح الله .

ولكن الجمع كان يقترب رويداً رويداً .. وبدأت الام تتبينه على وضوح .. انهم اربعة اشخاص بل خمسة .. وحدّقت : انهم

يحملون بين ايديهم جسداً .. واعتمدت بيدها على الحاجز . وقد انتابتها رعشة .. ثم نادت زوجها تقول :

– انظر من يحملون ..

وبعد لحظات سمع زوجها صرختها تدوي :

– هاني .. حبيبي ....هاني !.

وتلقاها زوجها بين يديه وقد اغمي عليها .. ودخل خمسة شبان يحملون هاني والدم يتدفق من جراح عميقة في ساقه . وهو يتألم من فرط التعب والاعياء كلمات لا تكاد تبين .

واقبل الاطباء يضمدون الجراح .. واجمعوا فيما بينهم على ان يجروا لهاني عملية عاجلة لاستخراج الرصاصة التي استقرت في داخل عظمة الساق .

وقال احد الاطباء للوالد :

– ان العملية لا بدّ منها ، ولكن لسنا على يقين من نجاحها .. فقد يصعب علينا استخراج الرصاصة ،وقد نضطر الى .. بتر الساق..

واهتز الوالد ارتجافاً وذعراً ، وترقرقت في محجريه دمعتان امسكتهما الرجولة ان تنحدرا .

واستعادت الوالدة وعيها بعد حين ، فاذا هي تذرف الدمع مدراراً وتنتحب.. ثم تتنبه فجأة كأنها كانت في غفلة وتأخذ تصيح :

– ماذا حدث له ؟ بم اصيب .. اخبروني .. هل يتألم هاني ؟ . هل عليه من خطر ؟ !

ولم تشأ ان تستقر ، ولم ترد ان تنزل على رغبة الاطباء في ان تسكن وتهدء اكراماً لولدها الجريح المتعب .. ودخلت حيث

سجي هاني وهي تقول بصوت مرتفع :

– قلت له ألا يخرج .. قلت له إن الحالة مضطربة .. قلت له ابق في البيت .. هاني لماذا فعلت ذلك ؟ ..

وتكلم ذلك المسجّى . تكلم بغضب وألم وبصوت يهتز اهتزازاً وبروح تعتصر العذاب اعتصاراً :

– أمي .. اسكتي .. لا تزيدي ألمي .. خرجت لانه كان من واجبي ان اخرج .. خرجت لان اختيار الوطن وقع عليّ لتأدية الامتحان مع اخواني الشبان .. خرجنا من البيوت . ولو لم نخرج لما ثار لبنان ، ولما اطلق الرصاص ..

وصمت هاني ، كأنما اجهده الكلام ثم تمتم :

– آه .. كيف سامي ؟ رأيته يسقط مثلي . وكيف عصام وفؤاد وفيليب ؟ طمئنوني عنهم .. لقد اصيبوا مثلي .. ولكن ارجو ألا يتألموا كما اتألم ..

وانتصرت الام تذرف . ولكن في صمت هـذه المرة .. لقد ارتفع صوت الفكر فكان على صوت العاطفة ان يصمت ! ..

*

واجريت العملية لهاني ووفق الاطباء إلى استئصال الرصاصة . بيد ان الشاب قاسى في ذلك الواناً من العذاب والالم .. وكان لا ينى يسائل الاطباء ، ووالده واصدقاؤه حوله :

– حدثوني .. ماذا حدث ؟ هل رجع رئيس الجمهورية ؟ وهل عاد رئيس الوزارة وصحبه الوزراء ؟ واي خائن رضي ان يتعاون مع الخائن الاعظم في تأليف الحكومة ؟ ..

وكان الاطباء يجيبونه :

– ينتظر ان يخرج الجميع بين اللحظة والاخرى. ان البلاد العربية تغلي .. وان الدول الحليفة تحتج .. ومن المتوقع ان يعود ابطال العرين معززين موفوري الكرامة ..

فيتململ هاني في فراشه ويتمتم :

– اذن .. لم نعمل شيئاً بعد .. ويجب ان نتأهب للعمل من جديد ..

ثم يحدّق في العلاء بعينين ملهوفتين ويقول بضراعة : هبني القوة يا الهي لأستأنف مع رفاقي الجهاد الذي بدأناه !

وامره الاطباء ان يستقر ويهدأ خشية ان يصيب ساقه الالتهاب، فيضطروا إلى بترها .. وهدأ هاني على مضض ، وان في صدره لثورة تغلي ! وحين لمس اصدقاؤه ان صحته في تحسن مستمر طلبوا إليه ان يقص عليهم الحادث .. وقال هاني :

« كنا أكثر من اربعمائة شاب تجمعوا من شتى المدارس . ومشينا بخطوات ثابتة يعمر صدورنا الايمان بحقنا ، ونهتف من اعماق قلوبنا :

– يعيش لبنان المستقل ! يحيا رئيس الجمهورية ورئيس الوزارة والوزراء ..! نطلب عودة الرئيس وصحبه ..!

وهتف احدنا :

– فليسقط الاستعمار الفرنسي !

فانطلقت حناجرنا تردد هتافه حتى بحت ، كأنها كانت تبحث منذ طويل عن ضالتها فاذا هي تجدها ، فتروح تعبر عن أحاسيسها بقوة

واندفاع . ورأينا الشبان ينضمون الينا من كل صوب ، فازددنا ايمانا وشجاعة ، وتابعنا السير هاتفين منشدين .. حتى برزت لنا سيارة مصفحة .. ثم ثانية ثم ثالثة .. ونظرنا فاذا جنود يوجهون الينا بنادقهم ولا ينتظرون إلا الاشارة لاطلاق الرصاص .. وكاد يهن منا العزم ، وأحسست أن من النذالة والجبن أن نتفرق ، وان نضعف ، فاذا انا اهتف من جديد :

– يعيش لبنان المستقل ..!

وراعني ان يردد الشبان حولي هذا النداء باقوى مما رددوه من قبل ، فاطمأننت لانني تيقنت ان كثيرين يشعرون شعوري .. وكنا توقفنا لحظات ، وتوقفت المصفحات امامنا .. واذا نحن فجأة نسير ، ونحن نحمل قلوبنا على راحاتنا ، وهم يحملون بنادقهم ورصاصهم ، وعدنا نحيي لبنان ونهتف له .. واذا صوت الرصاص يدوي ، فيختلط نداؤنا بدويه .. وحين سقطت شاعراً بالم في ساقي ، نظرت حولي ، فاذا كثيرون يسقطون مثلي .. وسمعت « فؤاد » يقول وهو يترنح ويكاد يسقط :

– يعيش لبنان ..! يعيش رئيس الجمهورية .!

ورأيت الكثيرين يحاولون تفادي الرصاص ، ومضت لحظات ، ولم أعد أشعر بشيء .. ثم الفيتني هنا في البيت ، وحولي الاطباء ..

وأراح هاني يده على فخذه وصمت لحظة ثم قال :

– ولكنني ساشفى باذن الله .. وسنعود الى العمل لانني اعتقد ان الجهاد لم ينته بعد .

وما كاد هاني يبلغ هذا المبلغ من روايته حتى فتح الباب فجأة ،

وانطلق شاب يصيح بصوت فرح :

ـ هنيئاً لكم يا شباب .. البشرى لكم .. لقد عاد الرئيس والوزراء ..

عادوا معززين ، والجماهير تهتف لهم في الشوارع ورصاص الفرح يدوي في كل مكان ترافقه الهتافات والاناشيد ..

وهبّ الشبان من مجالسهم ورآهم هاني يتسربون بسرعة الى الخارج وهم يصرخون صرخات ثاقبة تم عن فرح بالغ كان مكبوتاً فاطلق سراحه .. وشعر هاني انه يناديهم :

ـ محمود .. سميح .. سعيد .. خذوني معكم .. خذوني معكم .. بالله عليكم انتظروني ..

ولكن احداً لم يسمعه .. فقد كان سرورهم يصم منهم الآذان ويعمي الابصار .. وأحسّ هاني بنفحة من القوة تسري في كيانه فاذا هو يدفع عن جسمه الغطاء ، ويستقيم في سريره ثم يقفز الى الأرض .. كان يتحرّق شوقاً لرؤية اولئك الذين خلقوا لبنان من جديد ، وبعثوا في اركانه روح القوة والعزم .. ولكن هاني سقط على الارض وهو لا يشعر بانه وقف على رجله ..

لقد شلّت ساقه ..

وظل هاني قابعاً حيث سقط .. وما لبث ان بكى .. بكى هاني .. لا لأن قدمه قد عدمت الاحساس ، ولكن لأنه كان يريد ان يرى الرئيس وصحبه .. فاذا هذه الفرصة تفوته ..

*

ووقفت مرة مدير كلية المقاصد في تلاميذ المدرسة يحملن بين يديه

علم لبنان الجديد .. ورآه الطلبة يشرق بدمعـــه ثم يقول بصوت متهدج :

– أتدرون من الذي ارسل لنا هذا العلم ؟ .. لقد ارسله هاني .. هاني الذي كان يسير في طليعة الطلاب حين انهمر عليهم الرصاص ..

ثم اخرج المدير قصاصة من الورق قرأ فيها :

« اهدي هذا العلم اللبناني المفدى الى زملائي تلاميذ الكلية الذين اشتركوا معنا في المظاهرة ضد الظلم والعدوان .. »

وضجت القاعـة بالتصفيق وانطلقت حناجر فتية تنشد النشيد اللبناني ثم وقف احد التلاميذ يهتف :

– يعيش زميلنا هاني ..!

فيردد الطلاب عبارته باندفاع وقوة .

وبعد اسبوع واحد طرق وزير الدفاع الوطني باب دار «هاني» وانحنى على الشاب فقبله في جبينه وقال :

– اننا لنفخر بك كل الفخر .. ايها الزميل . اجـل .. انت زميل لنا في الجهاد فتقبل منا هذا الوسام .

ثم علق على صدره وسام الاستحقاق اللبناني .

وبكى هاني .. يومذاك ..

*

ومنذ يومين رأيت هاني في الطريق سائراً على تؤدة وهو يعتمد على عكاز .. فاقبلت اسلم عليـه بشوق وحنين . ثم توقفت انظر اليه وانا لا انبس .. وفطن هو الى انني اتطلع الى قدمـه ، ولحظ على وجهي غمامة حزن .. وهممت ان اتلفظ بكلمات اعرب بهـــا عن

شعوري في ذلك الموقف ولكنه بادرني يقول :

– لا .. لا تقل شيئاً ..

ثم ابتسم ابتسامة صادقة وربّت على كتفي وهو يقول :

– أتريد ان ترثي لي لان رجلي قد شلت ؟ لا .. لا .. انت مخطيء .. انه لشرف عظيم اولاني لبنان اياه .. انه تذكار ثورة !...

فهرست

اشواق	٥
امومة	٢٣
امرأة	٣٧
نداء الاعماق	٤٩
صراع	٥٩
ظامئات	٧٣
راحة الضمير	٨٥
هي .. وكلبها	٩٧
تفتح وردة	١٠٧
تذكار ثورة	١١٧

السلسلة السيكولوجية

مؤلفة من اربعة وعشرين كتاباً

ظهر منهـا :

١ – علم النفس يدلك على الطريق
٢ – شخصيتك ... كيف تقويها ؟
٣ – قوة الارادة
٤ – الموت للخجل !
٥ – عدوك الأول : الخوف !
٦ – ذلك الشعور بالنقص !
٧ – النوفزة
٨ – حذار من الهم !
٩ – فن معاملة الناس
١٠ – كيف تحل مشاكلك ؟
١١ – مفتاح الشخصيات
١٢ – الايحاء الذاتي
١٣ – ثروة للتوزيع !
١٤ – سماد الحياة !
١٥ – التنويم المغناطيسي
١٦ – حرب على التعب !
١٧ – سيكولوجية النساء
١٨ – فن الترويح عن النفس
١٩ – الذاكرة
٢٠ – توتر الاعصاب
٢١ – تفسير الاحلام
٢٢ – كيف تنام
٢٣ – فن القراءة والدرس

ثمن النسخة ليرة لبنانيـة ، من الجزء الاول حتى الخامس عشر
وستون قرشاً ابتداء من الجزء السادس عشر

سلسلة الثقافة الجنسية

مؤلفة من عشرة كتب

ظهرت كلها :

١) ما يجب ن لا يجهله كل شاب — الطبعة الثانية
٢) » » » لا تجهله كل فتاة — الطبعة الثانية
٣) » » » » » » زوجة
٤) » » » لا يجهله كل زوج
٥) » » » » » » رجل بعد الاربعين
٦) طبيعة المرأة التناسلية
٧) طبيعة الرجل التناسلية
٨) الجانب الجنسي من الزواج
٩) أسرار الحياة الجنسية .
١٠) الزواج الناجح

ثمن النسخة ١٥٠ قرشاً لبنانياً
او ١٧٠ فلساً او مليماً و ملا

صدر عن دار العلم للملايين

•

		قرش لبناني
العرب	للدكتور فيليب حتي	٤٠٠
منهج البحث في الادب واللغة	ترجمة الدكتور محمد مندور	١٥٠
قضية العرب	للاستاذ علي ناصر الدين	٢٥٠
التربية الوطنية	(طبعتان مدرسية وعامة)	
	للاساتذة جحا وشهلا ومحمصاني	٤٠٠
الاسلام على مفترق الطرق	ترجمة الدكتور عمر فروخ	٢٠٠
تجديد مناهج إعداد المعلمين بالعراق	للدكتور خالد الهاشمي	٤٠٠
السلسلة السيكولوجية (٢٤ كتاباً)	من ١ – ١٥	١٠٠
	من ١٦ – ٢٤	٦٠
سلسلة الثقافة الجنسية (عشرة كتب)		١٥٠
العرائس (شعر)	للاستاذ ابراهيم العريض	٢٢٥
سعد زغلول	للاستاذ قدري قلعجي	١٥٠
نحو التعاون العربي	للدكتور عمر فروخ	١٠٠
على المحك	للاستاذ مارون عبود	٤٠٠
كيف تغلب الانسان على الألم	للدكتور نقولا فياض	٢٠٠
أشواق	للاستاذ سهيل ادريس	٢٠٠

٤٧ - ١ - ٦٠

ادريس ،سهيل
اشواق: قصص
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01037501